المقدرة

رواية

أشرف فتحي

الكنزي
ALKANZY

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

إشراف عام
صبرينة غلمي

الطبعة الأولى
الكتاب : المقدرة
تأليف : أشرف فتحى
تصنيف الكتاب : رواية
مصمم الغلاف : عبير محمد
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٦٦٣١ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6599 - 76 - 5

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01003897918
Alkanzy.co@gmail.com
Facebook.com/Alkanzy.com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى من كانت ولم يكن لها مثيل، إلى من جعلت النوم يجافيني حتى نهاية قصتها، رفقا يا سيدتي بالقارئ فلا تفعلي به كما فعلتِ بي ..

المقدرة

شكرا لكل من ساعدني لخروج هذا العمل إلى النور.. تحياتي لجميع الأصدقاء

إهداء خاص

إلى قارئتي الأولى

إلى من ساندتني وشجعتني على الكتابة إلى من وقفت إلى جواري

حتى ظهرت (المقدرة) إلى النور

إليكي حبيبتي أهديكي أولى اصداراتي

حلمي الذي تحقق بمساندتك لي

إليك يا (نجلاء)

(1)

كان الفجر قد بدأ يسدل خيوطه الفضية على الوجود فى يوم ربيعى دافىء عندما تقلب (آسر) فى فراشه ووجهه يتصبب عرقا، كانت أنفاسه متسارعة وهو ينفض رأســـه يمينا ويسارا بفزع ويداه تتحركان لا إراديا وكأنه يخلص نفسه من هذا الفزع الزائد الذى سرعان ما انتهى عندما عدل من وضعية جســـده ليجلس فى فراشه يتحسس وجهه الذى ما زال يتصبب عرقا ..

ظل فى حالة من التيه غير مدرك لمكانه، حتى بدأ يهدأ ويحدد أركان غرفته الصغيرة ببصره ..

مسح وجهه بيديه ثم قام من فراشه واتجه نحو نافذة غرفته ليستقبل نســـمات الهواء الرقيقة التى داعبت وجهه ناظرا منها إلى الخارج شاردا غـــير مدرك لدقات اخته على الباب، والتى لم تجد مجيبا لتدخل وتقترب منه وتضع يدها على كتفه فينتفض من لمستها..

(منى): مـــاذا بك يا أخى .. ما الذى أيقظـــك من نومك مبكرا لتقف شـــاردا هكذا ولم تنتبه لدخولى ؟!، هل عاودك ذلك الكابوس مرة أخرى ؟!!

اومأ برأسه وهو مازال يركز نظره الى الخارج غارقا فى شروده لتربت هى على كتفه وتمسك بيدها بحنو متابعة حديثها :

- عليك أن تستشـــير طبيبا بشـــأن تلك الكوابيس المستمرة، فقد زاد الأمر عن حده وأنت على مشارف اختبارات السنة النهائية بالجامعة ويجـــب أن تكون فى أقصى درجات التركيز . .

اجابها (آسر) متنهدا :

- لا تقلقى سيكون كل شيء على ما يرام .

ثم استدار ناحيتها مبتسما وأردف :

- اخبرينى أنت لماذا استيقظت مبكرا ؟!

- تعرف أننى لا بد أن أجهز كل شـــيء قبـــل أن أذهب إلى الجامعة أم أنك تفضل أن أترك لك مهام المنزل وتعود من الجامعة فلا تجد ما تتقوت به إلى نهاية يومك؟

قالتها منى وهى ترســـم على وجهها ابتســـامة رضا لما أحســـته من اســـتعادة أخيها لحالته الطبيعيـــة ثم تابعت :

- سأحضر لنفســـى كوبا من الشاى . . ألا تحب أن تشاركنى كوبا آخر ؟

أمسك برأسها مداعبا بقبلة حانية :

- سأعيد ترتيب غرفتى حتى تعودى بالشاي. .

***

(2)

أســـرعت (منى) إلى المطبخ لتعد الشـــاي، واتجه (آسر) نحو الحمام وأغلق البـــاب خلفه ووقف يتأمل وجهه الشـــاحب فى المرآة ..

(آسر) ، ذلك الشاب الذى لم يتم عامه الحادى والعشرين بعد، تطارده تلك الاحلام المفزعة والمتكررة كل ليلة ..

بدأ يتحسس وجهه الذى طالما كان جاذبا للجميلات لما يتمتع به من وسامة ببشـــرة بيضاء وعينين زرقاء وشعر ناعم منظم وجسد طالما كان منســـقا، أصبح وكأنه ذاهب نحو شـــيخوخة مبكرة جراء تلك الأحلام المريبة والتى لا يعرف لها مغزى ولا مدلول!

تساقطت قطرات الدموع من عينيه حين تذكر ذلك اليوم الذى فقد فيـــه والديه إثر حادث مروع راحا ضحيته ونجـــا هو ومنى منه .. تلك الجميلـــة التى تصغره بعامين وتعتنى به وكأنه أبوها ..

حاول أن يتناسى تلك الذكريات المؤلمة، لكنه لا يستطيع أن يتناسى ذلك الكابوس الذى عاوده منذ دقائق..

لاحظ (آسر) شيئا غريبا قد بدأت معالمه تظهرفى المرآه ..

مشهد يتجسد أمامه وكأنه يتابع شاشة التلفاز :

***

المقدرة

كان رجلا قد خط الشـــيب لحيته وبدأ فى غزو رأسه .. كان الرجل يجلس على مكتبه وقد بدا عليه أعراض الغضب يصرخ فى رجلين أمامه ويضرب بقبضته على المكتب بشدة :

- أين ذهبت تلك الفتاة ؟ كيف لا تستطيعان الإتيان بها؟ أريدها هنا أمامى فى أسرع وقت .

أحد الرجلين :

- ســـيدى بحثنا عنها فـــى كل مكان يمكن أن تتواجـــد به ولكن دون جدوي، كالـــذى يبحث عن إبرة خيط فـــى كومة قش ..

الرجل مقاطعا :

- لماذا تتحدث كالفشلة وكأنى لأول مرة أكلفكم بمهمة ! إذا كنتما لا تقدران على العمل مع (جلال همام) فاغربا عن وجهى .. لا أريد أن أراكما هنا مرة أخرى !

الرجل الآخر:

- ســـيدى .. زميلى يقصد أننا لن نستطيع إيجادها مع تلك البيانات القليلة التى حصلنا عليها من سيادتكم، تلك المعلومات لن توصلنا إلى شيء، كأننا نبحث عن مجهول ..

(جلال) منفعلا:

- إذن أنا مجنون ولا أعرف عمن أبحث وأعطيتكم معلومات وهمية .

الرجل:

- بحثنـــا فى كل مكان يا ســـيدى حتـــى أننا بحثنا فى الســـجلات الحكومية ووصلنا إلى ذلك الاســـم، لكننا لم نجد ضمن بيانته أن له

أبناء ذكور أو إناث !

(جلال) صارخا:

- إن ما تقولانه مستحيل إلا اذا كان عاقرا لا ينجب !

الرجل:

- سيدى .. صاحب ذلك الاسم له شـــهادة ميلاد وشهادة وفاة بينهما أسبوع واحد فقط ! وهذا يعنى أنه لم يحيا فى الدنيا أكثر من عشرة أيام، كيف يكون له أبناء ؟!

(جلال) مصدوماً:

- شهادة وفاة ! .. ماذا تقول ؟!

الرجل الآخر:

- بحثنـــا أيضا عن بيانات الأم، وتوصلنا إلى فيلا تحمل نفس الاســـم فى منطقة (المنصورية)، لكن للأسف كانت الفيلا قد بيعت منذ ما يقرب من ثلاثين عاما، والذى اشـــتراها يعيش خارج مصر ..

(جلال) وقد تنبه :

- أعرف أنها كانت تمتلك تلك الفيلا، لكنى أمرتكم بأن تبحثوا فى الأسكندرية منذ خمسة عشر عاما !

- الرجل: لقد بحثنا بالفعل لكننا لم نجد لها أثرا هناك أيضا !

(جلال) صارخا :

- لابـــد أن تعثرا على تلـــك الفتاة . إن ما تمتلكه مـــن أوراق يمكن أن يقضى علـــى حياتى ويلقى بى فى غيابات الســـجون حتى ألقى

نهايتـــى.. بل إنه قد يزج بى إلى قاعة الإعـــدام ! هل وعيتما ما أقول ؟

الرجل:

- اطمئن يا سيدي، سوف نأتيك بتلك الأوراق ونأتى بها شخصيا .. لن ندخر جهدا فى البحث عنها .

***

فجأة تلاشت الصورة من المرآه وعادت إلى حالتها ليجد وجهه الشاحب أمامه مرة أخري، عاد (آســـر) يتحسس وجهه مرة أخرى فزعا مما رأى .. هل ما رآه للتو حقيقة أم أن أحلامه تحولت إلى واقع!

حاول أن يتمالك نفســـه حين سمع صوت (مـــني) تنادى من الخارج معلنة عن جاهزية أكواب الشـــاى للاحتساء .

***

(3)

فى الحرم الجامعى كانت الحياة أكثر نشـــاطا وحركة وازدحاما، فـــى كافيتريا الجامعة اجتمع عدد من الأصدقـــاء حول مائدة صغيرة يتناولون المشروبات ويتضاحكون :

(كريم) ضاحكا :

- لا يمكننى أن اصف لكم كيف كان حال د.(حسام) حين قرأ البحث الذى قدمتـــه، وكيف كان يصرخ وقد انتابتـــه حاله من التعجب قائلا :» كيف استطعت أن تنتهى من إعداد هذا البحث ؟! لم أتوقع أن ينهيه أحدهم قبل أســـبوع على الأقل ! كيف انتهيت منه فى أربع وعشـــرين ساعة ؟! لابد أنك طالب خارق أو أنك سرقته من باحث آخر !«

(أحمد) :

- لا أعرف كيف يفكر هؤلاء ! إذا أنجزنا ما نكلف به يتهمونا بالسرقة، وإذا تأخرنا نصبح فاشلين ومقصرين ! لا جدوى من العمل مع هؤلاء؛ فلن تحصل أبدا على كلمة شكر مهما فعلت لإرضائهم !

(كريم):

المقدرة

- ليلة كاملة قضيتها على الحاســب أتجــول بين صفحات الإنترنت ومواقــع الترجمة حتى أنتهى من إعداد ذلــك البحث وأنال رضى أستاذى كى أحصل على درجات جيدة تساعدنى فى تحسين درجاتى التراكمية وتحسين تقديرى العام !

(ريم) متأففة :

- لنتحدث بالمهم؛ كيف ستستعدون لأجازه نصف العام؟ لابد أن نعد برنامجا جيدا للاستمتاع بها إلى أبعد حد ..

(عبدالرحمن) ضاحكا :

- تقصدين أجازة نهاية العام ؟ أظنك قد فقدتى الإحساس بالزمن .. نريد أن تنتهى تلك السنة المتعبة !

(ريم) :

- لا يهم نصف العام أم آخره، المهم كيف ستستعدون لقضائها ؟

ثم استدارت تجاه صديقتها (سلمي) وسألتها بفضول :

- بماذا تفكرين ؟

(سلمى) :

- لقد تأخر (آسر) كثيرا على غير عادته ..

اقتربت (ريم) منها هامسة فى أذنها :

- نسيت أن حبيب القلب قد تأخر ..

(سلمي) وقد بانت عليها أعراض الغضب :

- هل أصبح الســـؤال عن صديق لنا حبا؟ أنا فقط لاحظت تأخره وهو لم يتأخر يوما عن موعده .

قطع حديث الأصدقاء دخول (آسر) وهو يلوح بيده مبتسما ..

همســـت (ريم) مرة أخرى فى أذن الصديقة التى بانت عليها أعراض السعادة :

- لقد حضر الحبيب المتأخر .. عفوا أقصد الصديق .

اعتدلت سلمى فى جلستها وهى تتابع صديقتها بحنق، بينما سحب (آســـر) كرســـيا وجلس برفقة أصدقائه وهو يبرر لهم سبب تأخره بأنه كان فى مكتبة الكلية يبحث عن المراجع اللازمة لإنجاز البحث المطلوب حتى ينتهى منه ويتفرغ لباقى المواد ..

قاطعه (أحمد) قائلا :

- فعلها (كريم) وسبقك فى تسليم البحث .

اعتدل (آسر) موجها حديثه نحو (كريم) :

- كيف انتهيت منه بهذه السرعة ؟ أنا أحتاج إلى يومين إضافيين على الأقل كى أنتهى منه !

(كريم) :

- لم يعـــد أحد يبحث عن المراجع فى المكتبات يـــا صديقي؛ المعلومات الكاملـــة تحصل عليها من الإنترنت، أم أنك لا تمتلك اشـــتراكا للإنترنت فى المنزل ؟!

(آسر):

- فعلا ليس لدى إنترنت بالمنزل .. لا أحتاج إليه كثيرا ..

(كريم) :

- لقد حملت كل ما أحتاجه من مراجع من الإنترنت؛ لذلك استطعت أن أنتهى منه بسرعة ..

قطعت (سلمي) الحديث الدائر بين الصديقين بطلبها الحديث مع (آسر) فى مكان آخر على انفراد بحجة أنها تريد أن تستشيره فى أمر خاص ..

ابتسم لها (آسر) وهو يشير بيده إلى خارج الكافيتريا كى تنتظره ..

انسحبت (سلمي) من الجلسة لتنتظره فى مكان يبتعد عن اجتماع الاصدقاء ..

نظر (آسر) نحو رفاقه متسائلا :

- هل ضايقها أحدكم ؟!

(كريم) :

- لم يضايقها أحد؛ لكنها تجلس ساهمة وحزينة منذ أن وصلنا إلى هنا.. اذهب لترى ما بها ..

استأذن (آسر) من رفاقه واستدار ناحيتها مسرعا خطاه بعدما تعالت ضحكات زملائهما وكلمات السخرية .

***

(4)

اقترب (آسر) من صديقته ليجدها مرتبكة وقد عبس وجهها .

(آسر):

- لماذا هذا العبوس والغضب .. ماذا حدث ؟!

(سلمي) :

- هل يمكننا أن نبتعد قليلا من هنا ؟!

- بالطبع هيا بنا ..

(سلمي) بدون مقدمات :

- لقد هاتفتنى أختك منذ ما يقرب من ساعة ..

- (مني) ؟! لماذا تحدثت إليك ؟!

- (آسر) .. إن ما يحدث معك وما تمر به لا يجب السكوت عنه أبدا ..

- ماذا تقصدين بما يحدث لى وما أمر به ؟!

- أخبرتنى عن كوابيسك اليومية المفزعة وأنك ترفض الذهاب إلى طبيب ولا تعير الأمر اهتماما ..

تابعت (سلمي) :

- أختك تحبك، ولولا أنها تعرف أنك تعتبرنى مثلها لما طلبت الحديث معى وأخبرتنى بذلك كى أقنعك بالبحث عن حل لتلك المشكلة ..

- أعرف أنها تحبنى .. ولكن لماذا تخبرك بمثل هذه الأشياء ؟ .. هل أصبحت مريضا فى نظرها ؟!

- لابـــد أن تعطى الأمور قدرها .. نحن يهمنا أمرك، وأنت أدرى الناس بحالتك وتعرف أنك لم تعد على ما يرام منذ حادثة الصيف الماضى حين فقدت والديك رحمهما الله ..

وجهت نظرها إلى الأرض وأردفت :

- أنت تعرف جيدا أن تلك الحادثة أثرت بك كثيرا .. ربما تســببت لك بمشـــكلات نفسية وتكون هى سبب تلك الكوابيس وربما تحتاج إلى شخص ما تتحدث إليه ..

قاطعها (آسر):

- لست صغيرا ولا أحتاج إلى من يوجهنى .
- لا أقصد ذلك لكنك بحاجة إلى طبيب .
- طبيب نفســانى ! تريدانى أن أبحث عن طبيب نفســانى كى أصاب بالجنـــون أو أنكما تعتبراننى كذلك ..

لا أحتاج إلى توجيهات أحد .. لست بحاجة إلى نصائحكما ..

توقف (آسر) فجأة عن حديثه عندما لاحظ ذلك الظلام الذى الذى خيم على الدنيا من حوله ليستمع إلى صوت رقيق يحدثه :

الصوت: هل أنت على يقين أنك لست بحاجة إلى مساعدة أحد ؟!

(آسر) وقد ارتعدت فرائصه :

- أين أنا ؟ ومن أنت ؟ من الذى يحدثنى ؟!

الصـــوت: لا تخف، لن أؤذيك ولا أنتوى ذلـــك، أنا هنا فقط لأوجه إليك نصيحة ليس أكثر .. اعتنى بنفسك الخطر يحيطك، ولابد أن تنتبه جيدا وتســـتعد للدفاع عن نفسك فى أى وقت ..

- أى خطر تريدينى أن أحمى نفسى منه ؟! عن ماذا تتحدثين ؟! ماذا تريدين منى ؟ أين أنا وأين الجامعة وأصدقائى ؟!
- لا تخف .. ســـأعيدك إليهم حالا، لكن عليك أن تتذكر نصيحتى

وتعيها جيدا ..

أنت فى خطر ..

على الانصراف الآن وسأعاود الحديث معك لاحقا ..

بدأ الظلام يتلاشـــى من حوله .. فتح عينيـــه محملقا فى أصدقاءه الملتفين حوله يحاولون إفاقته .. وقف مترنحا وهو يســـتند عليهم سائلا عما حدث له وأين هو ..

أســـنده (عبد الرحمن) على كتفه واتجه به نحو ســـيارته ليقله الى منزله ..

***

عاد (آسر) الى منزله ليجلس فى غرفته وحيدا حتى يدركه النوم بعد حديث مطول مع (مني) وشجارهما حول محادثاتها مع (سلمي)، ليدخل كل منهما إلى فراشه باحثا عن النوم ..

لم يستغرق (آسر) وقتا طويلا فى نومه،وسمع فى منامه أجراس المنزل لم تتوقف عن الرنين..كان حلما جديدا ليستيقظ (آسر) من نومه وقد عاد طفلا صغيرا وكانت منى الى جواره متجها نحو باب الشقة ..

اقترب من باب الشقة وفتحه بهدوء فتحة صغيرة ليجد أمه تقف أمام الباب وتتحدث إلى سيدة تمسك بيدها يد طفلة صغيرة ..

تقول الأم بابتسامة هادئة :

- كيف يمكننى أن أخدمك ؟

أجابتها المرأة باضطراب وهى تتسائل :

- هل الأستاذ (طاهر) هنا ؟

***

أجابتها الأم باضطراب مماثل :

- (طاهر) ؟! يبـــدو أنك اخطأتِ فى العنـــوان .. لا يوجد هنا أحد يدعى (طاهر) ..

همت الأم أن تغلق باب المنزل لكن السيدة بالخارج أوقفتها قائلة :

- عفوا سيدتى أنا أبحث عن الأستاذ (سليمان عماد الدين) !

أجابتها الأم مسرعة :

- (سليمان) ليس بالمنزل .. لم يعد من عمله بعد !

المرأة :

- متى سيعود ؟ لقد قطعت مسافات طويلة كى أصل إلى هنا ..

الأم :

- ليس له موعد محدد، ما أمرك بالضبط ؟ ولماذا تبحثين عنه ؟!

أجابتها المرأة بتردد :

- شكرا لكِ، أريده شخصيا .. سأعود مرة أخرى .

همت الأم بغلق الباب لكن الســـيدة أعادت عليها الســـؤال ما إذا كان يمكنهـــا ترك رقم هاتفها لتخبر (ســـليمان) بمجيئها للاتصال بها فهى تحتاجه فى أمر مهم وفارق بالنســـبة لها ..

تعجبت الأم مـــن أمرها وأحضرت لها دفترا صغيرا لتناولها إياه كى تكتب رقم هاتفها ..

انتهت الضيفة من تدوين هاتفها وهمت بالرحيل بعد أن توســـلت إلى الأم أن تخبرها أن تخبر (ســـليمان) بأنها تحتاج إليه بشدة :

- أخبريه أنى اسمى (علياء) ..

أومأت الأم برأســـها وأغلقت الباب لتعاود الدخـــول إلى المنزل لتجد الطفلة الصغيرة تهرول ناحيتها مســـــرعة ..

لتحضنها متسائلة :

- (مني) .. ما الذى أيقظك الآن ؟ هيا بنا لنخلد إلى النوم !

حملة صغيرتها واتجهت نحو غرفة نومها ليعيد (آسر) غلق باب الشقة ويعود نحو غرفته ليكمل نومه !

***

(5)

«لولا اختلاف الأذواق لبارت السلع»..

قالتها المعلمـــة أثناء إلقاء الدرس فى تلك المدرســـة الخاصة، وهى تلتفت إلى تلاميذها ســـائلة :

- من يستطيع أن يشرح لنا معنى تلك الجملة والهدف منها ؟

رفع عدد من التلاميذ أيديهم طلبا للإجابة، فأشارت إلى أحدهم :

- أجب يا (محمد) ..

- المقصود من الجملة أنه لو اجمتع الناس على حب سلعة معينة، فإن باقى الســـلع لن تباع ولن يســـتخدمها الناس، وسوف تفسد وتصبح دون قيمـــة .. مثال على ذلك : الحلـــوى .. فلو أجمع الناس على نوع واحد من الحلوى وعزفوا عن باقى الأنواع فســـوف تفسد جميع الأنواع التى لا يأكلها الناس ويخسر صانعها وبائعها .. هل كانت إجابتى صحيحة ؟

انفجر التلاميذ بالفصل ضحكا وابتسمت المعلمة نظرا لحجم جسده الضخم الممتلىء، ثم تابعت :

- إجابتـــك صحيحة يا (محمد) .. ولو أن مثالك لم يكن المثال الذى أبحث عنه، لكن إجابتك وتوضيحك صحيح . تراجعت المعلمة إلى الخلف وتابعت حديثها إلى تلاميذها :

- لـــو أن كل الناس يأكلون نوعا واحدا مـــن الطعام، ويرتدون نوعا واحدا من الملابس، ويشـــربون نوعا واحدا مـــن العصائر مثلا، فإن

أشياءا كثيرة سوف تختفى من الدنيا، وزروع كثيرة سوف تموت .. ومن نعم الله علينا أنه جعل لكل منا ذوقا مختلفا عن الآخر .. كل منا له ذوق مختلف فى ملبســـه وطعامه كى تمنح الفرصة للناس كى يزرعون ويحصدون ويصنعون أشـــياءا كثيرة ومختلفة لبيعها والاستفادة من عائدها المادى ..

توقفـــت المعلمة عن الحديث فجأة بعدما أمســـكت بطنها التى آلمتها بشـــدة لتصرخ وتتجه نحو كرســـيها لتجلس، فى حـــين ترك التلاميذ مقاعدهم ليلتفوا حولها محاولين مســـاعدتها ..

اتجه (محمد) مســـرعا نحو باب الفصل عندما لاحظ مدرسا يمشى فـــى الطرقة أمام الفصل صارخا به :

— أستاذة (هند) تجلس فى الفصل وتتلوى من ألم فى بطنها !

اتجه المعلم مســـرعا نحو الفصل باحثا عن زميلته التى لم تتوقف عن الصراخ ..

اتجه نحوها :

— أستاذه (هند) .. ماذا حدث ؟ ما بك ؟

هند :

— يبدو أنها أعراض الولادة .. أرجوك ساعدنى يا أستاذ (عرفة) .

— حاولى أن تنهضى معى ..

— لا أستطيع الحركة .. اتصل بالإسعاف .. اتصل بزوجى .. ساعدنى .. أشعر وكأنى سأفارق الحياة !

قالتها (هند) وهى تعض على شفتيها محاولة أن تكتم صرخاتها، فى حين أخرج (عرفة) هاتفه من جيبه متوترا ليتصل بسيارة الاسعاف ..

***

(6)

فى المستشفى كانت (هند) فى الفراش بإحدى الحجرات تبكى بشدة وبجوارهـــا على مقعد جلس زوجها ســـاهما ، بينما احتضنتها أمها بين ذراعيها بحزن.

(هند) باكية :

- لماذا أنا ؟ سبع ســـنوات وأنا أحلم بتلك اللحظة التى أحتضن فيها وليدى .. فـــى كل مرة كنت أحمل بها أفقد حملى فى الشـــهور الأولي، وحين يثبت الحمل وأســـتعيد الأمل يموت المولود !

الزوج صارخا بها:

- أنت الســـبب .. لم تنصاعى إلى أوامر الطبيـــب الذى أمرك بالراحة التامة، وأن هذه هى الفرصة الأخيرة لنا للإنجاب .. عاندتِ كالعادة وأصررتى على النزول إلى العمل !

قاطعته الأم بغضب :

- هل انتزعت الرحمة من قلبك ؟ ألا تســـتطيع الانتظار حتى تعودا إلى بيتكما لتتعاتبا ؟!

الزوج صارخا :

- عن أى بيت تتحدثين ؟ تقصدين بيتى أنا !

الأم :

- بيتـــك ؟! من منحك الحـــق لتقول بيتى ؟! إنه بيـــت ابنتى الذى منحها أبوها إياه كـــى تتزوج به ..

الزوج:

- هل تعتقدين أن هناك حياة بينى وبين ابنتك ؟! هى من توسلت إلى ألا أطلقها وسجلت البيت باسمى كتعويض لى ..

نظرت الأم لابنتها بذهول وهـــى غير مصدقة ما يقول، بينما كانت (هنـــد) منهارة مما حـــل بها عندما دق الباب ليدخـــل الطبيب؛ فصمت الجميع حتى أتم كشفه عليها وسألته باحثه عن أى كلمة منه تعطيها شيئا من الأمل ..

أى أمل ..

توسلت إلى الطبيب أن يعطيها أى أمل فى الإنجاب مرة أخرى ..

لكـــن رد الطبيب كان صادما بأن رحمها قد تـــأذى هذه المرة لدرجة جعلته لا يقوى على حمل أى جنين لأكثر من أسبوع، وبالأخص بعدما خرج الطفل الأخير مكتملا ولكنه فارق الحياة قبل أن يدون اسمه بينهم !

غادر الطبيب الغرفة وقد غشـــاه الأســـى مما حدث، ليتركها منهارة تمامـــا فى أحضان أمها التى بكت علـــى ابنتها هى الأخرى ..

نظرلها زوجها لحظات ثم قام بهدوء منصرفا .. فنادته بضعف :

- (إيهاب) .. أين تذهب ؟ هل ســـتتركنى وأنا على هذا الحال ؟! إننى فى أشد احتياجى إليك ..

التفت (إيهاب) إليها قائلا :

- اعذرينى .. لم أعد أقوى على الحياة معك ..

أنا آسف ..

أنتِ طالق !

قالها وأدار وجهه عنها و ..

انصرف !

***

(7)

فجأة انتفض (آسر) من فراشه صارخا ..

يلهث من شدة احتباس انفاسه ..

العرق يتصبب على وجهه غزيرا، يتحســـس وجهه مناديا عليها بفزع طالبا للنجدة ..

اقتربت مسرعة :

- ماذا بك يا حبيبى ؟ هل عاودتك الكوابيس مرة أخرى ؟!

جلس فى سريره فزعا :

- نعم .. هى الكوابيس .. ما زالت تتكرر .. لم أعد أتحمل هذا الأمر ..

أناس لا أعرفهم ..

وحين أستيقظ أجد بجسدى علامات لجروح !

تســـاقطت دموعه لا إراديـــا حين اقتربت منـــه لتحتضنه محاولة أن تخفـــف من فزعه ..

(مني) هامسة فى أذنه وهو ينتفض بين ذراعيها :

- لابـــد أن تذهب إلى طبيب يا حبيبى .. الأمر لم يعد يتحمل .. لابد

أن نصل إلى حل .. لم أعد أســـتطيع تحمل أن أراك هكذا !

- لابد أنكِ كنـــتِ محقة .. أنا فعلا بحاجـــة إلى طبيب قبل أصاب بالجنون ..

- إذن .. غدا فى الصباح ســـوف نبدأ فى البحث عن طبيب علنا نصل إلى حل ..

- لـــدى اختبار مهم غدا .. بعد أن انتهى منـــه وتعودى أنتِ أيضا من الجامعة يكون أفضل ..

- حسنا .. سوف أبحث عن طبيب جيد لنحجز موعدا ونذهب سويا ..

***

(٨)

فى حـــرم الجامعة تجمع عـــدد كبير من الطلبة يراجعون أســـئلة الامتحانـــات ويعيدون إجاباتها مـــع بعضهم .. انتبـــه الأصدقاء وهم يتضاحكون كعادتهم لـــ(آسر) الذى جلس على مقعد مسندا رأسه على الحائط خلفهم، فأســـرعوا إليه والتفوا حوله ..

- (كريم):
- ماذا بك ؟ هل ما زلت مريضا ؟

(آسر) :

- لا شيء .. أنا مجهد فقط من السهر ليلة الأمس ..

تنهدت (سلمي) :

- مذاكرة ؟ هى صحتك وأنت حر فى قراراتك ..

امسك (آسر) بيدها لتجلس بجواره ويهمس فى أذنها :

- لا تقلقي، لقد اتفقت مع (مني) للذهاب إلى طبيب اليوم كى تطمئنا؛ لذلك لا داعى بإفشاء الأمر بين الزملاء ..

ارتسمت بسمة سعادة على وجهها وهى تداعبه :

- هكذا تكون ابنى الذى احسنت تربيته ..

- وهل يوجد لديَّ أم أحســـن منـــك، قالها ثم اســـتدار ناحية (عبد الرحمن) :

- كيف كانـــت إجاباتك فى الاختبار ؟ لابد أنك ســـتحصل على أعلـــى تقدير كعادتك ..

(عبد الرحمن) :

- لا أخشى سوى الحساد أمثالك ..

- (ريم) :

- لا تقلق من حسدهم أنت محصن ..

وانطلقوا جميعا يضحكون عندما لمحها .. كانت تقف بعيداعنهم.. إلاأن نظراتهـــا كانت متركزة عليه .. ابتســـمت وحيته بيدها، فتلفت حوله يمينا ويســـارا فوجد أصدقائه مندمجـــين فى الحديث، فعاد ينظر نحوها ثانية فوجدها تقترب منه ..

كانت كبيرة فى السن تبدو فى الثلاثينات من عمرها ولكنها كانت جميلة بيضاء البشرة، خضراء العينين، سوداء الشعر ..

وقفت أمامه، فقام من مقعده ونظر لها؛ فابتسمت برقة وقالت :

- مبروك النجاح مقدما، لكن مـــا زال هناك اختبار أهم يجب عليك اجتيازه ..

اعتنِ بنفسك ..

(آسر) :

- من أنتِ ؟ أشعر وكأنى رأيتك من قبل .. من أنتِ وماذا تريدين ؟

المقدرة

المرأة :

- الدماء تتعارف يا بنى .. انتبه إلى كل من حولك ..

الدماء تسيل ..

أنت فى خطر ..

بنو دمك يحاولون إيذاءك ..

ابحث عن الحقيقة ..

الحقيقة أمام عينيك لكنك لا تستطيع رؤيتها ..

الأيام تنقضى ..

والقمر على وشك الاكتمال ..

لابد أن تبصر قبل فوات الأوان !

فجاة أظلمت الدنيا لثانية أولثانيتين .. فتح (آســـر)عينيه وانتفض معتـــدلا على مقعده ودار بعينيه حوله فلـــم يجد المرأة ! نظر لأصدقائه متسائلا :

- أين ذهبت ؟!

(كريم) :

- من هى ؟! ماذا تقصد ؟!

(آسر) :

- المرأة التى كانت هنا الآن وتحدثنى .. أين ذهبت؟

(أحمد) وهو يطالع أصدقاءه :

- هل رأى أحدكم أى امرأة هنا ؟

(آسر) صارخا :

- كيف لم تروها ؟ كانت هنا بجوارك أنت و(ريم) !

(ريم) :

- اهدأ يا (آسر) .. لماذا أنت منفعل إلى هذه الدرجة ؟

(آسر) وقد اوشكت مقلتاه على البروز :

كيف لم تروها ؟ كانت بجوارك وتحدثنى الآن .. رأيتيها أم لا ؟

(ريم) بتوتر :

- صراحة أنا ..

قاطعها (آسر) صارخا :

- أكملى .. أنتِ ماذا ؟

(عبد الرحمن) غاضبا :

- لم يرَ أحدنا أى امرأة هنا .. لماذا تصرخ بنا هكذا ؟

(آسر) وقد هدأه صراخ صديقه :

- أحقا لم تأتِ أى امرأة إلى هنا الآن وحدثتنى ثم انصرفت ؟!

(كريم) :

- صدقا يا صديقى .. أنت شـــردت فجأة ثم عدت من شرودك لتصرخ بنا !

(سلمي) بهدوء :

- لو كانت هنا لكنا رأيناها وتحدثنا معها أيضا ..

(آسر) :

- لكنكم كنتم تتحدثون سويا وكنت أنا ..

قاطعته (سلمي) :

- هذا يعنى أننا لم نرَ أحدا .. فلو رأينا احدا هنا لتوقفنا عن الحديث على الأقل !

ترك (آسر) كرسيه وانتفض واقفا .. لا يمكن أن يكون هذا وهم أو خيالات !

(أحمد) :

- (آسر) .. لقد كثر شرودك .. لم تعد طبيعيا كما عهدناك من قبل .. نحاول - جميعنا - أن نتعامل معك كأنك طبيعي؛ لكن الأمر قد فاق الاحتمال .. لابد أن تبحث عن علاج؛ لن نتحمل صراخك بنا كثيرا ..

(سلمي) بانفعال :

- هذه طريقة لا تليق فى الحديث بيننا .. لماذا تتحدث معه بهذه الطريقة ؟ كان عليك أن تتحمل صديقك فى ازمته وتحاول مساعدته !

ترك (آسر) زملائه واتجه مسرعا نحو بوابة الجامعة متجاهلا ندائهم.

***

(٩)

فـــى مكان ما بعيـــد مجهول فى قلب الصحـــراء كانت هناك بعض البيـــوت البدوية الصغيرة بها عدد قليل من الرجال والنســـاء والأطفال، كانت النسوة ما بين غزل الأصواف وخبزالعجين وغسيل الملابس، بينما الأطفال يلعبون هنا وهناك والماعز تجرى من حولهم، أما الرجال فكانوا مجتمعـــين فى حلقة حول كبيرهم يناقشـــون إحدى الأمـــور بانفعال واضح.. نقترب منهم لنجد الوجوم على وجوههم الســـمراء !

أحدالشباب:

- ياشيخنا .. والله ما تقوله ما عاد له ذكر .. اللى صار صار من دهر، والماضى أصبح ذكرى لأصحابه، وأصحابه رحلوا عنا من زمن..

رجل كبير ينهره :

- اصمت ياصالح .. مالك صالح بها الكلام، والله ما بترى شـــىء عن عوايدنـــا، اللى فات ما مات، وجايب معاه الوبا والويل !

شيخ القبيلة بهدوء:

- ماتنهره يامحسب، الولد صغير ومايوعى على الكلام !

والتفت إلى الشاب :

- قوم ياولد الله يصلح حالك خللى الحريم يعدو لنا القهوة .

أطاعه الشاب بدون مناقشة وأحنى رأسه احتراما للشيخ، بينما التفت الشيخ لـــ(محسب) يسأله :

- ياترى إيه بتقول العرافة الحين ؟

مالها قول غير السابق ؟

ما عندها حل ؟

البدر اقـــترب يكتمل والظلمة جايه علينـــا والحمل ثقيل وأناكبرت ماعدت أقدرعليه..

(محسب):

- والله ياشيخ الكلام نفس الكلام، لكن ما يمانع نسألها الحل .

والتفت إلى أحد الشباب الجالسين فى الحلقة قائلا :

- قوم يا (مهنى) لدارالعرافة وأخبرها تعجل بالحضور للشـــيخ فى أمر شديد، وماتعود إلا وهى معك..

قام الشـــاب من جلسته وأســـرع إلى دارالعرافة، بينما حضرت القهوة فقام (جابر) بتوزيعها على الرجال الذين جلســـوا يحتسونها فى صمت فى انتظار العرافة التى جاءت مستندة على الشاب وهى تجر قدميها جراً بظهرها المنحنى، وما أن وصلت حتى أفســـحوا لها مكانا لتجلس بهدوء بجوار الشيخ الذى سألها بقلق :

- فيدينا يا(مجدره) .. البدراقترب، وماعاد باقى من الوقت شيء..

العرافة:

- والله ربك أمر، وأمر الله نافد، إحنا أســـباب يا(جليل) ومانملك من نفسنا شيء ! ما عاد فيه قول يقال ..

الشيخ:

- حاولى من جديد، يمكن البال يرتاح، أو نعرف إيه هايكون .

المقدرة

فتحت العرافة منديلها وفرشته على الرمال وفردت بأصابعها الودعات، أمســـكت بواحدة منهم ورفعتها لأقصى ما تستطيع ثم ألقت بها أمامها على الرمـــال .. نظر لها الجميع وهى ثابته علـــى الرمال وفجأة بدأت تغوص فى الرمال حتى اختفت، بعدلحظات، انطلقت من مكانها نافورة صغيرة من الرمـــال، فانتفض الرجال من أماكنهـــم ثم نظروا نحوها برعب..

العرافة:

- القـــدر جاى جـــاى .. والدور على الولد الصغـــير .. يايرجع الحق لأصحابه، ياتدور الديـــه على الرقاب .

الشيخ:

- من فين الولد ؟ من حدانا ؟ من قبيلتنا ؟ من رحايمنا ؟

العرافة تنظرله:

- اللـــى صاير على الولـــد صاير علينا، اللى خفى زمـــان صاير اليوم ينكشـــف، وياويله اللى قدره فى المستور.

الشيخ بقلق :

- والعمل يا(مقدرة) .. غيتينا .. انصحينا .. إيش نسوى؟

العرافة:

- المكتوب على الرقاب مكتوب، وكلنـــا ياولدى بأيدنا حلول لورضينا بالحق !

الشيخ:

- وأنا مـــا أرضى إلا بالحق .. إيه المطلوب ؟ والله كلامك يصير على الكبير قبل الصغير !

المقدرة

العرافة:

- انطق بالحق لما تتســـأل .. هذا هو المطلـــوب .. بيه تنجّى قبيلتك وولدك، ونسلك ما يهلك !

الشيخ:

- وامتى راح أتسأل ؟ ده البدر هالل وباقى على طلعته ثلاث جمعات.

العرافة :

- كل قدر له ميعاد .. اصبر وقول الحق واحتسب.

الشيخ:

- هو ده كل المطلوب ؟

العرافة تنظر له ثانية :

- قول الحق .. رد الأمانة ياشيخ .. خللى الولد ينهى اللى بقاله سنين مسيل دم .. رد الأمانة حتى تموت وماتحملهم دنيا ولا آخرة !

اضطرب الشـــيخ بعد مقولتها الأخيرة ونظر للرجال ثم نظر لها، ثم قام من مجلسه مبتعدا !

أكملت العرافة حديثها :

- كلـــه قدرمكتوب .. كله بيد القدر .. الجاى حق والفايت باطل.. ومايحارب بالحق غير صاحب الحق ، وصاحب الحق بيحارب ليعرف.. ومسيره يعرف .. وياويل الظالم .. ياويل الظالم .

***

(10)

فى عيادة أحد الأطباء النفسانيين اســـترخى (آسر) على (شيزلونج) داخل حجرة الطبيب والتوتر يملأ قســـمات وجهه ويكاد - من شدة توتره - أن يبكى..

الطبيب:

- اهدأ يا بنى .. منذ ســـاعة وأنت تجلس متوترا ولم نستطع الحديث .. بهذه الطريقة لن نصل إلى حل !

(منى) تدخلت فى الحديث لتوجه حديثها إلى الطبيب :

- منذ فترة و(آسر) يمر بأزمة عصيبة، لكن الأيام الأخيرة كانت مزعجة ومريبـــة إلى حد فاق الاحتمال؛ تطـــارده الأحلام المفزعة والكوابيس بشـــكل يومي؛ لدرجة أنه لا يمر يوم إلا ويفزع من نومه صارخا، لكن الأمـــر قد تطور حتى فى اليقظة .. فقـــد أصبحت الأحلام تطارده حتى فى الجامعة وهو يجلس بين أصدقائه !

آخرها كان اليوم .

وجه الطبيب سؤاله إلى (آسر) كى يخبره بما حدث فى الجامعة، لكن (آسر) مازال صامتا .. توقف الطبيب عن الحديث قبل أن يفقد اعصابه ويصيح فى (آســـر) الذى طلب منه الحديث منفردا .. وبعدها طلب من (مني) الانتظار فى الخارج .. امتثلت (مني) لطلب (آســـر) واتجهت نحو غرفة الانتظار ..

***

المقدرة

أغلق الطبيب باب الغرفة وأعاد النظر نحو (آسر) مبتسما :

- ها قد خرجت أختك .. يمكنك أن تخبرنى بكل شيء تخفيه ..

(آسر) :

- لا أعرف من أين أبدأ، لكنى فعلا فى مأزق ولا أعرف ماذا يحدث لى ..

الطبيب :

- أمر جيد أن تكون على علم ومقتنع بأنك فى مأزق وأن هناك مشكلة.. هذا أمر جيد كبداية لحل المشكلة والقضاء على تلك الازمة ..

(آسر) :

- بعد أن فقدت أبى وأمى فى الصيف الماضى فى ذلك الحادث المريب انتابنى شعور غريب، وساءت حالتى النفسية .. كرهت الحياة ولم أعد أطيق الحياة .. لم أعد أحب الاختلاط بأحد أو الحديث مع أحد .. شعرت أن أختى الوحيدة التى بقيت لى من الدنيا فى حاجة إليّ وأنها تعانى نفس معاناتى .. خشيت أن افقدها هى الأخرى إن استمريت على هذا الحال؛ قررت أن أواجه الحياة لأجلها؛ وقد كانت سندا وعونا لى فى ذلك، ومن ذلك الحين وكلانا لا يخشى الأذى على نفسه بل يخشى الأذى للآخر ..

الطبيب :

- ما تقوله يعنى أنك قد تغلبت على نفسك وعادت الأمور إلى سابق عهدها قبل الحادث ولم تعد كما السابق تماما، ولكنها تعدلت إلى حد ما ..

(آسر) :

- فعلا لقد هدأت الحياة وبدأت أتناسى ذلك الحادث الأليم، لكن فى

الأســـابيع الأخيرة أصبحت أرى كوابيســـا مفزعة بشكل يومى .. كانت قبل ذلك قليلـــة ولم تكن بهذه الكثرة !

فى الأيام الأخيرة أصبحت يومية ومزعجة إلى حد مخيف !

الطبيب :

- ماذا كنت ترى فى تلك الكوابيس؟

(آسر) :

- صحراء .. ثعابين .. كلاب .. أشياء غريبة لا أعرف ما هى ولا يمكننى وصفها، لكن منذ أســـبوع تغيرت حياتى وانقلبت رأسا على عقب ..

الطبيب:

- كيف ؟

انطلق (آسر) يقص عليه كل ما مر به من كوابيس للرؤية المظلمة، لتلك المرأة التى ظهرت له فى الجامعة ولم يرها أحد غيره، ثم اختفاؤها وإصرار أصدقائه على أنهم لم يروا أحدا معه!

أغلق عينيه واسترخى وإن كان جسده لازال ينتفض من التوتر..

الطبيب :

- هل كنت تراها كما ترانى الآن أم أنك كنت تشـــعر فقط بأنك تراها ؟

- كنت أراها كما أراك .. كنت أحدثها وأنا وسط زملائى .. كنت مدركا لكل مـــا يدور حولى .. أرى أصدقائـــى وأسمع حديثهم .. كنت أرى مبانى الجامعة وكل شـــيء .. وفجأة لم أجدها !

اختفت مثلما ظهرت !

لذلك سألت أصدقائى إذا كانوا قد رأوها ..

- هل تعرف هذه المرأة أو كانت تشبه أحدا تعرفه ؟ أمك مثلا ؟
- صراحة لم تكن تشبه أحدا أعرفه .. لكنى أشعر وكأنى رأيتها من قبل ..
- كيف لا تشبه أحدا تعرفه وتعتقد أنك رأيتها من قبل ؟
- إذا لم تكـــن مصدقا لما أقول يمكننى أن أرحل الآن؛ فلم يعد بمقدورى تحمل السخرية من أحد !
- اهدأ من فضلك .. أنا لا أسخر منك لكنى أحاول الوصول إلى تفسير .. كان اعتقادى أنها أمك .. أخبرنى عن علاقتك بها قبل وفاتها ..
- كنـــت أحبها كأى ابن يحب أمه .. كانـــت هى وأبى وأختى كل حياتـــي، لكن ليس لدرجة أن أرى من يشـــببها ولا أعرفه !
- أعتقد أنكما - أنت وأختك - منذ وفاتهما وأنتما تعيشـــان فى حالة مـــن الخوف الخفى .. من خلال حديثكمـــا لم أرَ فى حديثكما غير الذهـــاب الى الجامعـــة .. لم تتحدثا عن خـــروج إلى مكان ترفيهى مثلا .. ربما يكون ذلك هو ســـبب حالة الاضطراب التى تعيشـــها ..
- بمعنى ؟!
- أنتما بحاجة إلى تغيير روتين حياتكما .. جرب أن تصحبها فى رحلة لأسبوع أو أسبوعين فى مكان خارج المنزل والشارع الذى تعيشان به .. ربما تقل تلك الكوابيس أو تختفى .. سأعطيك بعض الأدوية التى تمنحـــك بعضا من الراحة والهدوء وتخفف التوتر، ولابد أن تجرب الحياة بعيدا عن المنزل والجامعة .
- هل تعتقد أن رحلة لأسبوع سوف تقضى على تلك الكوابيس ؟!
- لنقم بالتجربة .. ليس لدينا ما نخســـره، ربما نقلل من حدة التوتر وتختفى تلك الأحلام المفزعة .

***

(11)

فى المساء كانت (ريم) و(سـلمى) تجلسان معا فى مقهى قريب من منزل (سـلمى) تفكران فى حالة (آسر)

(ريم) :

- تعرفين يا سلمى أننا جميعا لا نريد الشر لـ(آسر) ونود مساعدته ..

(سلمى) :

- أتمنى أن يعود (آسر) إلى طبيعته .. فكل يوم تزداد حالته من سوء إلى أسوأ .. أخشى أن يعود إلى سابق عهده بعد وفاة والديه ..

(ريم):

- لا تقلقى .. لن يعود إلى تلك الحالة .. أنا لدى الحل الذى نستطيع من خلاله تخليصه مما حل به ومن تلك الحالة التى يعيشها ..
- أى حل .. فـ(آسـر) كل يوم تزداد حالته سوءا .. لا أعرف كيف يمكننى مساعدته !
- أفكر فى رحلة إلى السـاحل الشـمالى .. نذهب جميعنا إلى هناك؛ فعمى يمتلـك فيلا محاطة بحديقة جميلة وحوض للسـباحة .. سـيكون جوا مختلفا وسـنكون جميعنا بجـواره .. أعتقد أن ذلك سيسـاعده على التخلص من توتـره وإخراجه من أزمته .
- فكرة رائعة؛ فـ(آسر) لم يترك منزله منذ وفاة والديه إلا إلى الجامعة والمذاكرة، ولكن هل تعتقدين أنه سيوافق على اقتراحنا ؟
- سأتحدث إلى (مني) بشأن الموضوع .. أعتقد أنها تستطيع إقناعه .. أعطنى هاتفك .

(12)

فى منزل (آسر) كان جالسا مسترخيا فى حجرة المعيشة، بينما (مني) فى المطبخ تعد لهما كوبين من الشـــاى، وبينما هو مســـترخٍ رأى تلك الدوامة تظهـــر أمامه ضبابية، وجد والده فى حوار حاد مع أمّه فتنبه لما يدور !

الأب:

- لماذا سمحتِ لها بالانصراف ؟ لماذا لم تدخليها إلى المنزل حتى أعود ؟

الأم منفعلة :

- وكيف لى أن أعرف إذا كانت هى أم أنها أحد هؤلاء الذين يبحثون عنا فى كل مكان ؟

- ألم تخبرك بموعد آخر تأتى فيه ؟

الأم تحضر دليل الهاتف :

- لا، لم تخبرنـــى بموعـــد آخر، لكنهـــا تركت رقم هاتفهـــا وتنتظر اتصالـــك.. قالت أنها بحاجة إليك فـــى موضوع مهم .. (حياة أو موت) علـــى حد وصفها ..

أمســـك الأب الدفتر بلهفة وأســـرع إلى الهاتف وطلب الرقم وانتظر ثوانٍ ..

الأب:

- السلام عليكم، أنا (سليمان)، وانتظرقليلا ثم أجاب مبتسما :

- نعم أنا بالمنزل بانتظارك ..

الأم :

- ومـــا يدريك إذا كانت هى أم لا، لمـــاذا لا تنتبه لتصرفاتك وتغامر بحياتنـــا وحياة أبنائنـــا ؟ لقد عانينا حتى ننتهـــى من هؤلاء وتنعم حياتنا بالهدوء !

- لم يخنى قلبـــى قبل ذلك .. متأكد أنها هـــى .. عليكِ التحلى بالهدوء .. ســـتكون هى بإذن الله .. هيا أحضرى لنا الشـــاى ..

قامت الأم لتعد الشاى وعندها تبدد الضباب وزالت الدوامة لتختفى الصورة من أمام (آسر) ويجد نفسه وحيدا فى الحجرة !

انتفض، ثم نادى على (مني) ..

دخلـــت (منى) عليه حاملة الصينية وعليها كوبان من الشـــاى وهى تبتسم له :

- تفضل شايك المفضل..

تناول (آسر) كوب الشاى وهو يحدثها :

- لماذا كل هذا التأخير ؟

(منى) :

- كنت أجهز شيئا نأكله .. لم نأكل شيئامنذ الصباح، أم أنك تريد أن تكمل اليوم بدون طعام ؟!

- لقد نسيت إذا كنت قد أكلت أم لا ..

- هى عادتك .. إذا لم تتذكر تكمل يومك وتنام دون طعام !

(آسر)ضاحكا :

- وماذا أعد لنا الشيف (مني) على الغداء ؟

(مني) :

ليس غداءا كالمعتاد .. لقد تأخرنا فى الجامعة اليوم .

- إذن سيوقع خصم على الشيف جزاءا لإهماله !

انطلقت (مني) نحو المطبخ مسرعة وهى تقول :

- لقدأعددت لك طبق الفول بالخلطة المفضلة مع البيض المسلوق ..

(آسر) وقد تعالت ضحكاته :

- لا تنسى طبق الجبنة بالطماطم حتى يكون غداءا (كونتننتل).

- كونت ..؟ لا أعرف ماذا تقصد ! سـأحضر مـا طلبت .. أمركم غريب يا طلاب السـياحة والفنادق !

تركته ودخلت المطبخ بينما أمسـك (آسـر) بكوب الشـاى يرشفه بهـدوء، ورأى الجريدة على المنضدة بجواره فوضع الكوب وأمسـك بها يتصفحها، عندما تنبـه لصوت هامس ..

المرأة :

- ليس هذا ما تحتاج إلى قراءته الآن .. هناك أمور أهم ..

انتفض من مكانه وألقى بالجريدة على الأرض ليجد المرأة تقف أمام حجرة والديه تبتسـم له بهدوء، واقتربت منه .. حاول الابتعاد عنها ،إلا أنها توقفت فى مكانها تنظر له وتسأله :

- لماذا تنتفض هكذا كلما رأيتنى وكأنك شاهدت شيطان ؟!

(آسر) صارخا بها :

- من أنت ؟ وماذا تريدين مني؟ ألم يكف ما حدث ؟

- لا تخف منى .. أنا هنا لمصلحتك .. لا يمكننى أن أؤذيك !

ليكـــن بعلمك : أنت بخير ! أنت حقـــا ترانى وتحدثني، لكن لا يمكن لأحد غـــيرك رؤيتي، وهذا ليس عيب بك أو جنـــون أصاب عقلك، لكن أنت فقط من يهمنى أمـــره .. على الأقل فى هذا الوقت ! حتى أختك التى هى ســـبب ظهورى لك لا يمكنها رؤيتي؛ لأنه لا يجب أن ترانى هى أو تكلمنى لأنى مكلفة بالحديث إليك أنت فقط ومبعوثة من أجلك .

- لماذا أنا ؟ ولماذا يهمك أمرى إلى هذه الدرجة ؟ ماذا تريدين مني؟ لماذا تفعلين ذلك بى ؟

- لأنك الوحيد القادر على إنقاذ نفســـك وأختك من خطر شديد وتنجيها مـــن كارثة قد تصيبها، وإن ظللت على حالتك هذه فمن الممكن أن تفقدها .. وأنت أيضا ســـتفقد حياتك !

- أختى ؟ كارثة ؟ تضيع منى ؟ ماذا تقصدين ؟!

- أنا هنا لأطلعك على كل شيء .. لكى تقضى على ما هو قائم منذ خسمين عاما !

- ومـــا الذى يربطنـــى بحادثة وقعت منذ خمســـين عامـــا؟ ولماذا أنا بالتحديد ؟

- لأنك بذرته، ويجب أن تصلح ما فعله هو وبأقصى سرعة !

ثم ابتسمت وأكملت:

- لم يكن لك ذنب فيما حدث، لكنك أنت صاحب (الجعران) ..

أنت صاحب الرفعة ..

أنت الذى تســـتطيع القضاء على كل شـــيء وتنهى كل شر وتعيد الحق إلى أصحابه !

أعرف أنك لا تعى شيئا مما أقول، لكن حين تفهم سوف تهدأ ويرتاح قلبك !

- أفهم ماذا ؟ ماذا تريدين منى ؟

أشـــارت المرأة إلى باب الحجرة المغلق وابتســـمت له، فقام من مقعده واتجه إلى حجـــرة والديه المغلقة منذ وفاتهما وفتـــح الباب ودخل ..

نظرت له وأشـــارت إلى حقيبـــة أعلى الدولاب، فاتجـــه إليها وأنزلها ووضعهاعلى الفـــراش وفتحها، فوجد بها العديد من الملفات والأوراق ..

المرأة :

- اقرأ تلك الأوراق وســـوف تعرف بعضا من الحقيقة .. ستعى قليلا عـــن الحقيقة المدفونة فى رمال الصحراء ..

لكن انتبه ..

كل كلمة كتبت على تلك الأوراق تحمل سرا من أسرار الحياة ..

لا يجـــب أن يعرف أحد عن تلك الأوراق ولا يجب أن يعرف أحد أنها معك، حتى (مني) ..

- لأول مرة أرى تلك الأوراق .. لكن ..

المرأة مقاطعة :

- لا تستعجل .. الرحلة التى سوف تعرض عليك لا ترفضها لأن بها الحقيقة وبها الحل ..

- أى رحلة ؟!

- لا يصح أن تذهب بدون (الجعران) .. وهذا لن يفيد بدون هذه ..

وأشـــارت بإصبعها إلى الكومود بجوار الفـــراش، فاتجه نحوه وفتحه فوجد بداخلـــه علبة عاجية مغلقة، فأخرجهـــا وفتحها فوجد بداخلها قلادة غريبة الشـــكل منقوش عليها بضع نقوش على هيئات مختلفة ..

نجـــوم وثعابين وكلمات غريبـــة .. رفعها لوجهـــه فانعكس الضوء مباشرا على عينيه فأغلقهما بسرعة .. عندما فتحهما وجد نفسه على مقعده فى حجرة المعيشـــة وقد اختفت المرأة !

رن جرس الهاتـــف فى تلك اللحظة .. سمعـــه إلا أنه لم يقدرعلى الحركة ..

جاءت أخته من المطبخ مسرعة تسأله :

- لماذا لا تجيب على الهاتف؟

أومأ برأسه فى حين أسرعت هى نحو الهاتف لتجيب ..

- أهلا يا (سلمي) ..

- كيف حالك أنت و(آسر) ؟

نظرت (مني) إلى (آسر) مبتسمة وهى تجيب :

- بخير .. نحمد الله (آسر) بخير .. مفاجئة ؟ رحلة ؟

انتبه (آسر) للحديث حين سمع (مني) تنطق بكلمة رحلة ..

- إلى أين ستكون هذه الرحلة ؟ الساحل الشمالى ؟

- لا أعرف هل سيوافق (آسر) أم لا .. سأعطيه الهاتف لتخبريه ..

تناول (آسر) الهاتف :

- أنا بخير .. أصبحت أفضل بكثير .. الساحل ؟ .. لا لن نذهب !

قالها وهو يتابع نظرات (مني) المتجهمة ثم أكمل :

- موافق .. سوف نأتى أنا و(مني) ..

- حين تكونا جاهزين أخبرانى حتى نحدد الموعد ..

أغلـــق المكالمة ونظر لـــ(مـــني) التى تعالت صيحاتهـــا فرحا وتعلقت برقبته فاحتضنها بحنـــــان وهو يضحك:

- عليك أن تكونى جاهزة فى أقرب وقت ..
- حالا سوف أبدأ فى تحضير حقيبتى ..

(آسر) مبتسما :

- وماذا عن العشاء ؟ ألن تحضريه أم أننا سنخلد إلى النوم جوعى ؟

أســـرعت (مني) إلى المطبخ لتعد العشـــاء، بينمـــا اتجه هو إلى حجرة والديه وأغلق الباب خلفه ونظـــر للدولاب فوجد الحقيبة فى مكانها .. فتردد لحظات ثم اتجه إليها بهدوء وأنزلها ووضعها على الفراش وجلس بجوارها ينظر إليها وهى مغلقة وكأنه يخشـــى مما سوف يجده بها ..

***

(13)

فى مكان خال من الحياة، حيث الصحراء من جميع الجهات لايقطعها سوى العديد من الأشجار وضوء القمر الباهت فى سماء خالية من النجوم، والضباب يغلف كل شيء فيثير فى النفس حالة من الفزع المبهم للمجهول، كانت هى قادمة من وسط الضباب، تسير على مهل وشعرها يتطاير بخفة حولها وفستانها الأبيض الفضفاض يتمايل مع خطواتها الهادئة حتى اقتربت .. وهنا ظهرت صورتها واضحة للرجال الثلاثة الذين كانوا فى انتظارها .. ولمارأتهم توقفت ونظرت لهم بغضب ..

سألها أحدهم بهدوء :

- لماذا تصرفت بهذه الطريقة ؟ كان اتفاقنا أن ننتظر البدر الشتوي.. لماذا تعجلت ؟ لقد خالفتِ قوانيننا وأعرافنا وما اتفقنا عليه ..

المرأة:

- لقد حصلت على الأذن ولم أظهر نفسي، والولد أيضا ليس جاهزا الآن ويحتاج إلى وقت كى يمتلك القوة اللازمة لما هو مقبل عليه ..

الرجل:

- أنتِ غير مدركة لأ فعالك .. ظهورك الآن نبه الشيخ، والعرافة قد أخبرته بظهورك مع اختفاء أول جعران وابتلاع الأرض له سيكون لديهم القدرة على التخلص منك إذا ظهرتِ عندهم ..

- كان لابد أن أحصل على الجعران .. الولد يحتاج إليه كى يحمى نفسه من شرهم، لو تأخر ظهورى حتى الموعد المحدد كانت ستزيد

قوتهم وتفوقنى كثيرا .. الآن هم فى موقف ضعف وليس أنا .. الآن أنا فى موضع القوة وهم فى موقف الضعف .

- لكن ..

رغم ضعفهم الآن فقد عرفوا بنا ..

كنا نود مفاجأتهم بظهورنا معا، لكنهم الآن أخذوا حذرهم .. وهذا لن يكون أبدا فى مصلحتنا ..

- أرى عكس ذلك .. الآن هم يعتقدون أنى سأواجههم بمفردى فى الموعد المكتوب، لكن حين تظهرون معى لن يستطيعوا مجابهتنا ..

- إذن .. أنتِ ما زلتِ مصرة على موقفك وأن تصرفك هذا صحيح ؟

- لقد حصلت على موافقة كبيرنا (الحاجى) على الظهور، وإذا كان لدى أحدكم اعتراض يمكنكم الحديث معه .. علىَّ العودة الآن فالولد على وشك الوصول ولابد أن يعرف طريقه بسرعة ..

استدارت منصرفة من نفس الطريق الذى جاءت منه حتى اختفت فى الضباب تماما، فالتفت الرجل إلى الرجلين معه قائلا :

- لابد أن نطلب مقابلة كبيرنا (الحاجى) .. لابد أن نتحدث معه؛ الموضوع خطير ولا يجب أن نتركها بمفردها .. هى أيضا بحاجة إلى مساعدتنا، وقد أقسمنا سلفا أن نساعد فى عودة الحق إلى أصحابه.. هيا بنا إلى (الحاجى) لنحصل على إذن بالظهور ..

انصرف الرجال من الطريق الآخر حتى اختفى الجميع فى الضباب، واخترق الصمت المخيم على الخلاء الفسيح عواء ذئب جائع..

***

(14)

فى طريق الســـاحل كان الأصدقاء فى ســـياراتهم يقطعون الطريق خلـــف بعضهم، كان (آســـر) نائما فى المقعد الخلفى وبجواره جلســـت (سلمى) تقرأ فى قصة صغيرة، بينما تنساب الموسيقى الهادئة باعثة جوا من الدفء والراحة، فى حين جلس صديقهما(عبدالرحمن) خلف عجلة القيادة وبجواره جلس (أحمد) مسترخيا..

فى الســـيارة الأخرى كان (كريم) يقود وبجواره (ريم)، بينماجلست (منى) فى المقعد الخلفي، وبينما الســـيارتان تقطعـــان الطريق المتبقى للوصول للقرية مع بداية النهار فتح (آســـر) عينيه مبتسما وهويشعر - لأول مرة - بالراحة والانســـجام منذ وفاة والديه..

نظـــر من النافذة بجـــواره متأملا القرى وهى تتـــوالى على الطريق، والتفـــت ليتحدث إلى ســـلمى إلا أنه فوجىء بالمرأة جالســـة بجواره !

انتابته حالة من الرعب وتلفت حوله .. سألته بابتسامة :

- أما زلت تخشانى ؟
- تظهرين فجأة وتختفين فجأة وهذا أمر مخيف .. ومؤكد أن رفاقى هنا يرونك ..
- لا أحد يرانى !
- مؤكد أنهم على الأقل يسمعوننى وأنا أتحدث !
- لا، الحديـــث الذى يدور بيننا الآن فى عقلك أنت فقط لا أحد يراه ولا يســـمعه .. أنت الآن نائم .. هذا ما يرونه الآن ..

- كيف أكون نائما وأنا الآن أرى الطريق وأصدقائى وأسمع الموسيقى ؟!
- لا تشغل نفسك بتلك الامور .. دعنا نتحدث بالمهم ..
- وما هو الأمر المهم إذن ؟
- قرأت الورق ؟ علمت السر ؟
- الحقيبة ؟.. لا .. لم أفتحها بعد .

انفعلت المرأة :

- لماذا لم تقرأ ما بها ؟ ألم أخبرك أن تقرأها ؟ الأمر فى غاية الخطورة ولا يحتمل التأخير .
- ماذا تريدين منى أن أفهمـــه ؟ منذ أن ظهرتِ فى حياتى تحولت إلى جحيم .. لم أعد أستطيع النوم .. لا أستطيع الحياة .. ماذا تريدين منـــى ؟ ابتعدى عن حياتى .. يكفى ما حدث إلى الآن .. يكفى .
- أنت لا تستطيع العيش؟ بل لا تريد أن تفهم ولا تريد أن تعرف .. تريد أن تظل فى غيبوبتك حتى تستفيق منها ولا تجد أختك .. وحينها لن تجد شـــيئا تحيا من أجله وذلك إذا لم تخسر حياتك قبلها ..

اســـتمع إليّ جيدا .. أنا لم أحصل على إذن بالظهور قبل الموعد كى ألتقى بشخص أحمق .. استمع إلى ما سأقوله جيدا ونفذ ما سوف آمرك به، وإذا لم تنفذه راضيا سوف تنفذه غصبا ..

- لن أستمع إلى شيء ولا اريد أن أعرف شيئا .. كل ما أريده ألا أراكِ مرة أخرى .. عـــودى إلى خفائك وابتعدى عن حياتى .. اتركينى أحيا كما أريد !
- حسنا .. سوف أختفى الآن، لكن بعد أن ترى وتعرف، وأنا على يقين أنك من ســـتترجانى كى أعاود الظهور لأساعدك .. انظر أمامك وشاهد الحقيقة .. اعرفها واشعر بها كى تعى ما أريد أن أخبرك به ..

***

(15)

نظر (آســـر) أمامه فوجد الدنيا قد أظلمـــت فجأة، واختفى الطريق تمامـــا من حوله، بعد لحظات وجد الظلام ينحســـر عنه تدريجيا ليجد نفســـه أمام بيت غريب قديم متهالك، وسمع من الداخل صرخات امرأة تتألم، فاتجه خائفا نحو الباب ليفتحه ببطء شـــديد ..

هناك شمعة موقدة فى إحدى الأركان، أخذها ووقف منصتا ليسمع صـــوت المرأة مرة أخرى تعاود الصراخ .. اتجـــه نحو الصوت الصادر من خلف أحـــد الأبواب وفتحه وتقدم إلى الداخل ..

وقف مشـــدوها مما يرى .. كانت المرأة نائمة على الأرض وفى حالة مخاض، إلا أن يديها كانتا مكبلتين خلف رأسها بحبال خشنة فى حلقة مثبتـــة فى الحائط، بينما تجلس القابلة أمامها تســـاعدها، فى الطرف الآخر من الحجرة كان هناك رجل يعطيه ظهره ويدخن سيجاره بسرعة شديدة لدرجة جعلت رؤيته صعبة من خلال الدخان ..

صرخت المرأة صرخة أخيرة ليســـمع صوت المولود الذى يعلن قدومه للدنيـــا .. تلقفته القابلـــة بيديها ولفته بملائة قديمـــة، ثم قامت من مجلســـها واتجهت نحو الرجل ووقفت خلفـــه وقالت فى هدوء :

– مبارك عليك يا سيدى (جلال) .. لقد وضعت ولدا ..

صرخ بها (جلال) :

– خذيه واخرجى الان ..

أطاعته القابلة دون مناقشـــة وخرجت وأغلقت الباب، بينما صرخت

المرأة على الأرض وهى تبكى وتتوسل إلى جلال أن يعيد إليها ابنها ..

غرقت فى البكاء بحرقة، فألقى (جلال) السيجارةمن يده ودهسها بقدمه بعنف ثم التفت إليها :

- ابنك؟ لن تراه عيناك .. يجب أن تنسى تماما أنك حملتى أو ضعتى ولدا ..

نطقت المرأة بعبارات التوسل وقد أوشكت على الموت حرقة على ابنها :

- ماذا فعلت بك كى تفعل بى ذلك ؟

اقترب (جلال) منها جاثيا على ركبتيه قائلا :

- ماذا فعلتى ؟!

تسألين ماذا فعلتي؟!

كنتِ تنوين على خراب بيتى مثلما فعلت زوجتى الأولى بالضبط ..

- كيف لى ان أنوى خراب بيتك وهو بيتى أيضا ؟!

- لماذا عطلتى التوكيل ؟ هل تخافين مني؟ أم أن مهمتى قد انتهت حين وصلتى إلى هدفك ؟

أنا الذى بنيت الشركة .. أنا الذى دفنت نفسى بها كى أثبت لكِ أنى على قدر المسؤلية وأحبك، حتى اقتربت من أن تكون الأكبر فى مصر، حينها تلغين التوكيل وتضيعين على تعب كل تلك السنوات وتضيعين على فرصة عمري؟

كل ذلك من أجل ابنك ؟

خشيت عليه وعلى أموالك منى ؟

- كيف وأنت زوجى وأبو ابنى .. كيف؟!

أنت الرجل الوحيد الذى احببته، وظننت أنك عوضى عن الدنيا وما

رأيته منها .. كيف تتصور أنى سأهدمك بيدي؟!

- طوال عمرك وأنتِ تخافينى يا (هند) .. طوال حياتك تخشين الفشل رغم أنى حافظت على أموالك وعليك .. أنت لم تحبينى يوما .. كنتى تبحثين عن حلم الأمومة فقط .. أما أنا فلم يهمك أمرى .. كنت لعبة بين يديك .. كان كل دورى فى حياتك أن تنجبى طفلا ..

(هند) :

- أنا لا أريد شـــيئا من الدنيا .. ســـأتنازل لك عن كل شيء .. كل أموالى .. الشـــركة .. حتى الفيلا ..

لكن اترك لى ابنى .. هو الشيء الوحيد الذى طالما حلمت به وتمنيته من الله ..

وقف جلال بهدوء :

- هل رأيتى ؟ تأكدتى أن وجودى من عدمه لا يفرق معك ؟

أود أن أخبرك بشيء .. أن كل ما قلتيه قد حدث بالفعل وقد ابتعت لنفســـى كل شيء قبل أن تلغى التوكيل، ولن تستطيعين مساومتى .. اما ابنك فسوف أجعلك تتحسرين عليه عندما تعرفين مصيره ..

(هند) صارخة :

- أرجوك لا تؤذى ابنى .. افعل بى ما تريد واترك لى ابنى ..

(جلال) :

- لن يجدى توســـلك نفعا لأن وليدك الآن قد دفن فى الصحراء ولم يعد له وجود .. ألم أقل لك ســـوف أجعلك تتحسرين عليه؟

ضحك ضحكة عالية مزلزلة للأعصاب انتفض لها (آسر) بينما تعالى صراخ (هند) مدويا بحسرة ومرارة ليتجمع الضباب كثيفا ويختفى كل شيء إلا صرخات (هند) وضحكات زوجها الشامتة..

(16)

من وســـط الضباب وجد (آسر) يدا تمســـك بيده بهدوء فرفع وجهه المتألم ليجـــد المرأة تقف بجواره تنظر له فى صمت وتشـــير له ليتحرك معها.. ســـار معها حيث أشارت فوجد القابلة تسير بهدوء حاملة الطفل فى يدها. شـــعر بالغضـــب يتملكه وخاف على المصـــير المحتوم للطفل، فحاول الإســـراع ليأخذه منها قبل أن تدفنه فـــى الصحراء، إلا أنه وجد المرأة تمنعه من الذهاب .. فتعجب إلا أنها أشـــارت له بيدها فنظر ليجد رجـــلا قد ظهر أمام القابلة على الطريـــق واقترب منها، فأعطته الطفل فحمله وسمعها تقول له :

- (جلال) يخبرك أن تذهب وتعتنى به وتبحث له عن مرضعة تعتنى به ..
- عودى إليه واخبريه أن وليده فى أيدٍ أمينة ..

أخذ الرجل الطفل وابتعد بينما عادت القابلة مرة أخرى إلى البيت .. نظر (آســـر) حوله، فوجد الصمت مطبقا فارتجف وحاول أن يجرى فلم تطاوعه قدماه .. حاول أن يصرخ فوجد الصمت يغلفه ولايخرج منه أى صوت !

***

(17)

فجأة أضاءت الدنيا من حوله ليجد أمامه فيلا رائعة مليئة بالأضواء ورجال ونســـاء من كل اتجاه يقبلون ويدخلـــون ويحيى بعضهم بعضا والثراء بادٍ عليهم، اقترب مســـرعا ليحتمـــى بالفيلا فوجد (جلال) وهو يحيى ضيوفه وبجواره امرأة جميلة يطوقها من وســـطها بذراعه ..

دخـــل الجميع الفيلا فتبعهم (آســـر) ليجد بالداخـــل حفلا صاخبا والموســـيقى تصدح فى كل مكان ..

جال ببصره هنا وهنـــاك فوجد المرأة التى كانت معه تقف أمام باب مغلق تشـــير إليه، فاتجه إليه ليفتح الباب من تلقاء نفسه ويدخل ليغلق الباب وراءه ..

بالداخل كان (جلال) جالســـا مسترخيا خلف مكتب فاخر، يحتسى كأسا من الشراب بينما جلست أمامه المرأة الحسناء تضحك بشغف ..

(جلال) :

- مبارك علينا .. لقد أصبح كل شيء ملكى كما تمنيت ..

الحسناء :

- لم تخطط وحدك .. لا تنس فضل مساعدتى لك ..
- وما الفرق بيننا يا حبيبتى ؟ كانت خطتك حقا جهنمية ..
- ماذا عن (هند) ؟ ماذا ستفعل بها ؟ هل ستتركها تفشى سرنا ؟
- لا تقلقى بخصوصها؛ فقد أعددت خطة محكمة للتخلص منها ..

- حسنا، لم تنادينى بحبيبتى ولم تخبرنى عن مكافأتى ..

- لا تتعجلى .. فلو أكملت حديثى لعلمتِ أن لكِ مكافأة أكبر مما تتخيلين ..

- أكمل ما كنت تنتوى قوله ..

ابتسم (جلال) وهو يشعل سيجارته :

- منذ أن علمت (هند) بأنها حامل وهى تعانى من اضطرابات نفسية مما جعلها تتصرف تصرفات غريبة مع الخدم وعمال الفيلا .. كانت تحسب أنهم يودون قتلها أو يخططون لمكيدة لها، حتى شعر الخدم بأن الجنون قد أصابها ..

- وما فائدة ذلك ؟

قالتها ثم ابتسمت واستطردت :

- هل أكدت لهم ذلك الشعور حتى إذا حدث أى شيء غريب يصدقونه ؟

قاطعها (جلال) ضاحكا :

- دائما تبهرينى بذكائك وكأنك تقرئين أفكارى .. هذا ما حدث بالفعل .. أوهمتهم أنى المظلوم دائما، ثم أخبرتهم أن الطبيب أكد أنها بحاجة إلى تغيير المناخ الذى تعيش به، وأنى سوف أصحبها إلى القرية حتى تضع حملها ..

- ألم تشعر هى بما تنوى أنت فعله ؟

- لم تكن راضية عن قرارى خوفا على حملها من الحركة .. صراخها جعل الخدم يتعاطفون معى وودعونا بحزن ودموع ..

- وماذا عن أهل القرية ؟ هل شعر أحدهم بشيء ؟

ترك (جلال) كرسيه وهو ينفث دخان سيجارته :

- الحقيقة هى أنى لم أذهب إلى القرية من الأساس ..
- وأين ذهبت بها إذن ؟
- هناك فى مكان آخر .. وكر خاص بى !
- أى وكر ؟ هل تمزح؟ وكيف طاوعك قلبك على فعل ذلك ؟
- كان ذلك هو الحل الأمثل والتصرف الأصح كى تضع وليدها وأستطيع أن أخفيه عن الأعين حتى أستطيع الحصول على الوديعة (الوقف) التى أودعتها جدته ..
- وقف ؟ أى وقف ؟ ماذا تخفى عنى ؟
- لم تأتِ مناسبة كى أخبرك أن امها حين علمت بحملها سجلت للمولود أرضا كانت قد تسلمتها من وزارة الأوقاف بعد صراع وقضايا دامت لسنوات كانت ضمن إرث أجدادها .. أرض تفوق مساحتها الخمسمائة فدان وهبتها لحفيدها قبل أن تموت ولا تراه ..
- لا أستطيع أن أصدقك .. هل سنصبح من الأعيان وأصحاب الملايين ؟
- هل علمتى الآن لماذا فعلت كل ذلك ؟ حين تموت (هند) سأكون أنا الوصى الوحيد عليه حتى يبلغ سن الرشد أو يموت .. فى حادث مثلا.. سأكون حينها الوريث الوحيد له .

ما رأيك فى هذه المفاجأة ؟

- رأيى هو أن لى حق فى هذه الارض، ولا تنسَ أنى من عرفتك بها وزوجتك منها ..

اقترب (جلال) منها لينحنى مقبلا يدها :

- دون أن تطلبى فكل ما أملكه ملك لك .

***

(18)

كل هذا و(آسر) ينظر ويراقب وهو ينتفض من الغضب ولايدرى لماذا جاءت به المرأة لهذه الرحلـــة، وفجأة أظلمت الدنيا حوله وظهر الضباب من جديد ليجد نفسه وحيدا مرة أخرى ..

تلفت حوله فلم يجد أحدا .. نادى على المرأة :

- أين أنت؟

لتعاود الظهور مرة أخرى .. سألها وقد غشاه الحزن والأسى مما رأى :

- ما هذا الذى كنت أشـــاهده ؟ إنه لأمر مخيف .. لم أكن أتخيل أن هناك أناس قست قلوبهم وتملك الجشع منهم إلى هذا الحد .. لكن ما علاقتى أنا بما شاهدته ؟

- أنت تعرف (جلال) و(هند) ؟

- لا، لم أرهما من قبل، لكنـــى رأيتهما فى منامى .. كان حلما مؤلما جدا، لكنى لم أرهما فى حلـــم واحد مجتمعين .. زارتنى (هند) مرة و(جـــلال) مرة أخري، وكل منهما فى حلم منفصل .. لكن ما رأيته الآن أبشـــع من كل ما شاهدته فى حياتى من كوابيس !

- وما شعورك الآن بعد ما شاهدته ؟

- أشـــعر بحزن عميق من أجل (هند) .. ظلمت فيما رأيته فى منامى وما شـــاهدته الآن، ولو أن (جلال) أمامـــى الآن لقتله دون رحمة او شفقة !

ابتسمت المرأة بحزن :

- أنت الآن على وشـــك أن تعى كل شـــيء .. لابـــد أن تعود الآن إلى المنزل لتقرأ االورق الذى وجدته فى الحقيبة؛ كى تعى كل شيء .. ســـتجد إجابة شافية لكل سؤال يدور برأسك ..
- هل سأراك مرة أخرى ؟
- لأول مرة تسألنى هذا السؤال .. ! لماذا ؟
- بعد الذى شاهدته أاشعر أنى أعرفك، أو رأيتك قبل ذلك ..

ربتت المرة على يده :

- سترانى مرات أخري؛ لأنك بالفعل تعرفنى .. لا تخف .. لن أبتعد عنك .. سأكون دائما بجوارك .. لن اتركك وحيدا أبدا .. الدم ينادى يا بنى .. الدم يناااادى ..

***

(19)

فى السيارة تعالى صوت الأصدقاء ضحكا وهم يوقظون (آسر) من نومه ..

فتح عينيه ونظر لهم ثم تلفت حوله فوجدهم قد وصلوا للقرية وتوقفوا أمام الفيلا، وكانوا يخرجون الحقائب بمرح ..

خرج من السيارة وتمطى وابتسم لهم..

(عبدالرحمن):

- ما هذا النوم ؟ لقد استغرقت نصف الطريق نائما ..

(أحمد):

- لابد أنه لم يشبع من النوم أثناء الامتحانات، لكن هنا لا وقت للنوم ..

(كريم):

- لن ينام أحد هنا، نحن هنا من أجل البحر والمرقص فقط ..

(سلمى):

- صدقت يا (كريم)، نحتاج إلى فترة نقاهة حتى نستشفى مما حل بنا هذا العام ..

(ريم):

- لن أضيع وقتا هنا فى النوم، أما من يريد النوم فهو حر ..

اقتربت (مني) من (آسر) لتحتضنه سائلة :

- أعتقد أن الأجواء هنا تريح الأعصاب، أم أن لك رأى آخر ؟

(آسر) :

- حقا الجو هنا رائع .. هيا بنا لننزل الحقائب وننطلق نحو البحر .

طوقته (مني) وسطه بذراعيها :

- هيا بنا ...

أسرع الجميع يتسابقون إلى الفيلا ويدخلون حقائبهم للغرف، عندما تنبهت (منى) إلى حقيبة صغيرة يحملها (آســـر) على كتفه، فسألته عن تلك الحقيبة فهى لم ترها من قبل .. رد عليها مبتســـما :

- بها مجموعة من الأوراق للتحضير لمشروع التخرج ..
- أى مشروع ؟ ألم تستطع تركها أسبوعا حتى نعود إلى القاهرة ؟
- لا تقلقى بشأنهم سأطالعهم ساعة واحدة يوميا قبل النوم ..
- إذا كان الأمر كذلك فلا بأس ..

وانطلقا إلى الفيلا يتضاحكان سويا حتى غابا عن الأنظار.

***

(20)

فى الصحراء، كان الشـــيخ جالسا وحده فى داره شاردا، اقتربت منه زوجته بكوب الشـــاى ووضعته أمامه، نظرت له قليلا ثم جلســـت بجواره تتنهد ..

الزوجة:

- مالك ياشيخ ؟ إيش فيك ؟ بقالك أيام على هالحال، ودايما شارد !

الشيخ يتنهد :

- والله المصاب كبير يا(فاطمة) وماكان لينا فيه يد .. رضينا وسلمنا ومافهمنا شـــىء، واليوم صار عقد ورا عقد بيمـــروا علينا ولما صرت كهـــل قامت الدنيا وماقعدت وأنا على هالحال أيام وســـنين وماعاد بيدى شـــىء، هدنى الزمان، والقومه صعبه عليا..

(فاطمة):

- ياشيخ والله انت ما ينقصك شىء إلا توصل الأمانة لأصحابها حتى ترتاح..
- أصحابها ؟! أصحابها راحوا وارتاحوا وسابونى للقدر اللى ما بيرحم وياويلى من اللى جاى ..

قطع حديثهما طارق على الباب، فأسرعت (فاطمة) تفتح، لتجد شابا صغير السن فسألته :

- إيش جابك يا (محسب) دلوقت ؟

المقدرة

- اعذرينى ياخالة، المقدرة طالبة تشوف الشيخ ..
- وهى ما تقدر تستنى للنهار ؟!

تدخل الشيخ فى الحديث موجها سؤاله إلى (محسب) قلقا :

- هى ماقالتلك ليه طالبانى ؟
- بتقول إن الأمر خطير ياشيخ ولابد من وجودك !
- بلغها إنى فى الطريق، هم ياولد وأنا جى فى أثرك .

انصرف الشاب بينما سألته (فاطمة) بقلق :

- الحين يا شيخ ؟! صحتك ما تتحمل .. النهارقرب ..

الشيخ بقلق شديد:

- والله ما بأعرف شـــىء يا(فاطمة) .. الحمل ثقيل ونفســـى ارتاح .. هاتى الحرام لما نشـــوف إيه الجديد عندها، وربك الســـتار .

***

(21)

وفى دار المقـــدرة، كانت هى تجلس على الأرض وقد اســـتندت على وسادة بجوارها .. أضاء دارها عدد من الشموع مما أرخى على الدار ظلالا تثير الرهبة، كانت تضع الودعات أمامها وتنظر لها بقلق بينما جسدها الهزيـــل يهتز للأمام وللخلف وهى تتمتم بعبارات غير واضحة، ثم أحنت رأســـها نحو الأرض وبدأت ترســـم بأصابعها دوائرا متداخلة، عندما دق الشـــيخ الباب ودخل، ثم وقف أمامها باحترام ..

أشـــارت له بالجلوس، فجلس صامتا بينما استمرت هى فى همهماتها ورسم الدوائر بأصابعها..

الشيخ:

- خير يا مقدرة .. ليه طالبانى الحين ؟! جد جديد ؟!
- كل جديد قائم على قديم، ولو ما كان الجدر مايكون الفرع..

الشيخ وقد نفذ صبره :

- خير يامقدرة .. إيش فيه؟
- النجـــم طالع بعد ليلتين، ودايرعلـــى القمر بضيه، يعنى ما عاد فيه وقت، ولابد تقرر إيه فى نيتك، إن كان خيرولا شـــر..
- دلينى .. شـــورى عليا .. أناجاهزونفســـى ارفع الحمل عن أكتافى وأرتاح..

- زى ما بديت لازم تنهى، البعيد قرب والودعة اتحولت، وناويه تهلكك.. إنت وولدك!

- إرمى الودعات يامقدرة وشوفى حاتقول إيه .. وأمرالله والله نافذ..

- والله خايفة أرميهم من إيدى .. إحنا ما لنا حمل باللى ممكن يكون...

- لازم أعرف مين مع الولد .. لازم أعرف إيه اللى جاى علينا .. ارمى الودعات وارمى تكالك على الله، هوالحافظ..

- أنت ونصيبك ياشيخ .. بسم الله !

ألقت الودعات من يدها على الأرض أمامها، وانتظرت قليلا فلم تتحرك من مكانها، فتنفس الشيخ مطلقا زفرة حارة ونظرللعرافة وسألها :

- الودع ما تحرك .. إيه قولك الحين؟

- أبدأ ياشيخ .. البدر هالل علينا وأنت ما بديت شيء .. لازم تنفذ الوعد اللى قطعته على نفسك من زمن، إبدأ قبل ما الجعران يتحول عليك..

قام الشيخ لينصرف مهموما وقد زاده حديث العرافة قلقا .. وعندما وصل إلى باب الدار التفت ملقيا نظرة أخيرة على الودعات، فلما وجدها لازالت فى مكانها هز رأسه وتابع السير تاركا دار العرافة متجها نحو داره يتابع السماء بعيون قلقة ..

***

(22)

فى ظلمة الليل يمشى ثلاثة رجال والضباب يغلفهم فلا تظهر معالمهم، ومن بعيد ظهر ضوء شديد يحيطه الضباب، ووسطه يجلس رجل متشح بالبيـــاض مما زاده هيبة ووقار، وقف الرجال أمامه باحترام، فرفع رأســـه نحوهم مبتسما وأشار بيده فاقترب أحدهم منه :

الرجل :

- جلالة (الحاجى) جئنا إليك بناءا على طلبك .. أخبرتنا (ســـارة) بذلك ..

(الحاجى) :

- وصلنى أنكم تريدون الظهور الآن .. لماذا أنتم متعجلون ؟!

الرجل مترددا:

- تعلم جلالتكم أن (ســـارة) وحدها لن تستطيع تنفيذ المهمة، غير أن العرافـــة على علم بظهورها لأن جعرانا قد اختفى .. هذا ما جعلنا نتعجل الظهور لمســـاعدتها .. فهلا أذنت لنا ؟

- هل ترون أنكم تمتلكون القوة الكافية للظهور الآن لمساعدتها ؟

- نحن مستعدون .. وكلما حصلنا على جعارين أسرع كانت المفاجأة أكبر لهم ..

- ليس لدى مانع .. لكن ما خطتكم للظهور ؟

- أعطنا الأمر فنحن مستعدون ..

- هذا يعنى أنكم لم تجهزوا خطة للظهور! لذلك سمحت لـ(سارة) بالظهور لأنها كانت مستعدة وتعرف ماذا ستفعل بعد ظهورها .. وإلى الآن خطتها ناجحة وقد بدأ الولد يستوعب ما نريده أن يعرفه ..

قالها (الحاجى) وقام من مجلسه ناظرا إلى السماء ثم أعاد النظر إلى الرجل ومن معه :

- هل ترون تلك النجمة الساطعة هناك ؟ هذه (سارة) .. أما أنتم يجب أن تنتظروا ثلاثة ليالٍ حتى تظهر نجومكم فى السماء مثلها ..
- تقصد جلالتك أننا علينا الانتظار ثلاثة ليالٍ ! لكن .. ماذا عن (سارة) ؟
- (سارة) بخير إلى الآن .. إذا كنتم تريدون مساعدتها فتابعوها وراقبوهم حتى يحين موعد ظهوركم لتكونوا أكثر قوة وتستطيعون مجابهة أى شر ..
- سنكون دائما بجوارها .. سنساعدها بكل ما لدينا من قوة حتى تنقضى الثلاث ليالٍ لنعود كى نحصل على قوة الجعارين لنهزم قوى الشر بعون الله .
- بعد ظهوركم بليلة واحدة سيكتمل القمر فى السماء؛ حينها تكون لحظة الخلاص قد حانت .. سيعود الحق إلى أصحابه، وستكتب نهاية كل ظالم .

انصرف الرجال وعاد (الحاجى)إلى مجلسه مرة أخرى .. نظر للسماء فوجد النجوم قد بدأت تأخذ شكله افى السماء على هيئة نقاط مضيئة.. فابتسم واسترخى فى مقعده وأغلق عينيه ..

***

(23)

فى القريـــة كان (كريم) و (عبدالرحمن) مســـترخيين فى كافيه يستمعان للموسيقى، بينما (ريم) و(منى) و(أحمد) يتجولون فى حديقة واســـعة يتناولون الآيس (كريم) ويتضاحكون، فى ركن هادىء تجتمع فيه العائلات جلســـت (سلمى) بجوار(آسر) والســـعادة بادية عليها، بينما يبتسم (آسر) وهويتطلع إلى وجهها المشرق .. لكنه قد أطال النظر إليها هذه المرة، احمرت وجنتاها خجلا وســـألته مبتسمة :

- هل ستظل ناظرا إلى هكذا كثيرا ؟
- صراحة لا أرى فى هذا المكان ما هو أجمل منكِ كى أطالعه ..
- هل أغناك جمالى عن كل هـــذا الجمال الذى يحيط بنا ؟ أخبرنى إذن ما الذى تراه جميلا فىّ ؟
- جمال عينيك يفوق الوصف .. ليـــس جمالهما فقط بل براءتهما الساحرة تخطف البصر !
- براءة عيناى ؟! كيف؟
- عيناك تكادان تقرضان شـــعرا ! لا يســـتطيع أحد وصفهما بكلماته على ورق .. لا تقوى ريشـــة رســـام على رسمهما .. ســـتتلعثم يداه وريشته خجلا ..

ابتسمت (سلمي) وقد تلعثمت ووجهت نظرها نحو الأرض :

- يكفى ما قلته .. تشعرنى وكأنها عيون (الموناليزا) ..

قاطعها (آسر) مترددا :

- أريد أن أخبرك بشيء ما ..
- ماذا تريد أن تقول ؟ هل تخشى أن يغضبنى ما ستقوله ؟
- أعتقد أن الامر لن يغضبك، لكن ..

هل يمكن أن تختصر الحديث وتخبرنى بما تريد قوله ؟!

بدت على (آسر) أعراض الخجل .. حاول أن يركز ناظريه فى مكان آخر ليستجمع قواه :

- أريد أن أخبرك ..
- يمكنك أن تتحدث مباشـــرة دون أن تفكر كثيرا ..امنح كلماتك الفرصة للخروج، وتيقن أن ما ســـتقوله لن يغضبنى ولن يؤثر على علاقتنا سلبا ..
- حقا ؟
- حقا ..

اســـتجمع (آســـر) قوته أخيرا لينطق بتلك الكلمة التى تمنت هى سماعها .. رفع (آسر) رأســـه ناظرا إليها :

- أريد أن أخبرك بأنى أحبك ..

أحبك إلى درجة فاقت احتمالى ..

حاولـــت كثيرا أن أخفى عنك حـــبي، ولكن محاولاتى كلها كانت دون جدوى !

غشـــى وجه (سلمي) ابتســـامة ســـعادة حاولت ان تخفيها واستدارت بوجهها عنه، ليمد يده نحوها ليسحب رأسها تجاهه، حتى وقعت عيناهما على بعضيهمـــا لتصمت الدنيا وتتحدث العيون ..

تلك العيون التى غشـــاها الخجل والأخرى التى لا تقوى على النظر فى مكان آخر ..

التى طرحت ســـؤالها باحثة عن رد يشـــفى فضولها وعشقها رغم أنه يـــدرك أنها تحبه لكنه ما زال يطمع فى سمـــاع تلك الكلمة التى طالما حلم بأن يســـمعها تنطلق من بين شـــفتيها لتصيب قلبه ليهدأ إلى الأبد ويستســـلم لخفقانه بسعادة وهدوء دون خوف ..

حرك (آسر) شفتيه أخيرا متسائلا عن الرد :

- تعلمين كم أحبك .. وقد اعترفت لك أخيرا .. فماذا عنك ؟

أومأت هى برأســـها تعبيرا عن مشـــاعرها تجاهه .. أمســـك (آسر) بكفها ليقبل أصابعها، لكن الرفاق قد اقتحموا جلستهما ليقطعوا تلك اللحظات النادرة التى يتمنى كل من هو من جنس آدم أن يعيشها، لكن دائما هناك من يأتون ليفسدونها ..

يتمالك الحبيبان نفســـيهما ويتراجع كل منهما إلى الخلف محاولا لملمة تلك المشـــاعر التى تناثرت حولهما، ويتابعان الأصدقاء القادمين نحوهما ..

(مني) :

- ماذا تفعلان هنا ؟!، بحثنا عنكما فى كل أرجاء القرية ..

(آسر) :

- لقد تعبنا قليلا من المشى فقررنا الجلوس هنا لتناول مشروب بارد ..

(ريم) :

- لماذا لم تخبرانا كى نشـــترى لكم بعض مـــن المثلجات لتبرد عليكما أكثر من المشروب ؟

قاطعتها (سلمي) بغضب :

- ماذا تقصدين ؟

(ريم) وقد غمزت بعينها نحو (سلمي) وقد مدت يدها بعلبة المثلجات :

- هذه لك كى تبرد النيران التى كانت على وشك الاشتعال ..

(آســـر) : ماذا تقصدين من تلك الكلمات ؟ لم يخبرك أحد أننا نريد مثلجـــات، ولا أحب تلـــك الكلمات التى تحمل أكثـــر من معني، وهذا الأســـلوب فى الحديث لا أحبه ..

تدخل (أحمد) قاطعا للحديث مبديا اعتذاره لـــ(آســـر) ســـاخرا من (ريم) :

- ضربتها الشمس فى رأسها يا صديقى فلم تعد تعى ما تقول ..

(آسر) :

- ماذا تريدون منا الان ؟!

(أحمد) :

- لا شـــيء يا صديقي، كل ما فى الأمر أن الساعة قد تخطت الثانية عشـــر ويجب أن نأخذ قســـطا من الراحة، كى نكون على استعداد لتناول الغـــداء غدا عند خالى فى مزرعته ..

(آسر) :

- خالك ؟! مزرعة !

(أحمد) :

- كنـــت أتحدث مع ابن خالى لادعوه لقضـــاء يومين برفقتنا فأجاب خـــالى على اتصالي، وأخبرنى أنهم فى مزرعته فى منطقة (ســـيدى عبـــد الرحمن) ودعانا لقضاء يوم غـــدا معه فى مزرعته ..

(سلمي) :

- وهل نحن آخر من يعلم ؟! كان يجب استشارتنا قبل تحديد الموعد والذهاب من عدمه ..

(مني) :

- نحن فى أجازة، لقد جئنا إلى هنا من أجل الاســـتمتاع بوقتنا، أم أننا جئنا لنقضى الأسبوع بالكامل هنا ! لنذهب سويا إلى المزرعة ونقضى يوما مختلفا ونستمتع بتناول الأكلات الشعبية هناك ..

(سلمي) وقد هدأت :

- لا بأس ..

ثم استدارت نحو (آسر) تسأله عن رأيه فى الذهاب ..

استعاد (آسر) هدوءه :

- إذا كنا ســـنتناول حمام وبط وفطير لابد أن نذهب .. كيف نفوت رحلة مثل هذه !

تعالت ضحكات الأصدقاء بعد تعبيرات وجه (آســـر) الساخرة لتنتهى حالة التوتر وتعود الأمور إلى طبيعتها .

***

(24)

هدأ الليل وأصبح صمتهم غلفا لجدران القرية السياحية، وفى هذا الهدوء كانت (سارة) تراقب كل ما يدور فى الفيلا وتنقل بصرها هنا وهناك، ورغم ملامحها غير الواضحة كان الغضب مسيطرا عليها وهى تراقب نافذة حجرة (آسر) ..

تقدمت بهدوء ونظرت خلالها ..

فى الداخل كان (آسر) جالسا فى فراشه يتصفح الأوراق الموجودة بالحقيبة بينما ذهبت أخته فى سبات عميق على فراشها، وبالرغم من غضب (سارة) البادى على وجهها إلا أنها ابتسمت واستدارت منصرفة ..

قلب (آسر) الأوراق بشيء من عدم الفهم عندما سقطت ورقة صغيرة فأمسكها ونظر فيها، كانت تحتوى على خطاب مرسل من امرأة مكتوب فيه :

« لو كنت أعلم أن زواجى سيحرمنى ولدى ويسلبنى مالى وتضيع معه كرامتى لقتلت نفسى قبل أن أقدم على مافعلت .. وأعلم أنى راحله، وأن أيامى باتت فى الدنيا معدودة، إلا أننى لن أرحل وأتركهم ينعمون بكل شيء، فلعنتى ستطولهم جميعا ولن تبقى منهم أحدا »

تعجب (آسر) من هذا الخطاب الغريب ومن صاحبته، إلا أنه تابع التقليب فى الأوراق ..

بينما هو يحاول أن يفهم ما فى هذه الأوراق لمح صندوقا فى الحقيبة، ترك الأوراق جانبا وأمسك به بهدوء وفتحه ليخرج منه تلك القلادة الغريبة..

ظل يتأملها فى ضوء حجرته ويتأمـــل النقوش عليها، فجأة أظلمت الحجرة فانتفض للحظة ثم اتجه نحو النافذة ليفتحها، تسارعت انفاسه حينما وجد الضوء قويا بالخارج ..

عاد ليمســـك القلادة ويقربها لوجهه ثانيا ونظر لها عندما توهجت فجأة بضوء غشـــى عينيه .. سرعان ما انقشع ..

انتابتـــه حالة من الفـــزع وألقى بها أرضا، إلا أنها عادت إلى شـــكلها الطبيعى واختفـــى الضوء تماما ..

تردد قليلا ثم انحنى يلتقطها مرة أخرى وتأملها بشـــيء من الخوف، ثـــم تنهد تهنيدة قوية ورفع وجهه للســـماء بتعجب، فلقد كان شـــكل الســـماء جميلا وازدادت زهوا بكثرة النجوم بها، والقمرالذى أوشـــك أن يصبح بدرا..

أعاد النظر لحجرته فوجد الضوء قد عاد فأســـرع إلى الفراش يجمع الأوراق .. وعندمـــا هـــم بوضعها فى الحقيبة مـــع القلادة تنبه لوجود مظروف بنى كبير فى قاعها، ترك ما بيده وقام بإخراج المظروف وفتحه وأخـــرج الأوراق التى بداخله فوجد معها صورة لفتـــاة جميلة، فتأملها قليـــلا ثم وضعها جانبا، فتح الأوراق وبدأ يتصفحها إلا أنه تنبه إلى أنها مختومة بأختام رسمية !

أمسك ورقة مصفرة منها وقرأ :

عقد بيع أرض .

(بيع قطعة أرض مساحتها :خمسمائة فدان مزروعة)

اســـم البائـــع : (جلال محمـــود الورداني) بتوكيل عـــام رسمى عن السيدة(هند (حســـين) رأفت) والمشترى هونفســـه البائع، وتنبه(آسر) أن مشـــترى الأرض باعها لنفســـه بالتوكيل العام .

تابـــع قراءة باقى الاوراق .. كانت عشـــرة أوراق تحمل كلها بيانات مماثلة ومباعة كلها من وإلى(جـــلال) بنفس التوكيل العام .. تعجب فى نفسه ثانية ..

لماذا تتواجد كل هذه الأوراق فى مقتنيات والدى ؟!

وما علاقة (جلال) هذا بوالدى ؟!

ما قيمة هذه الأوراق كى يحتفظ بها ؟!

أعاد (آسر) الأوراق إلى مكانها مرة أخرى، وعاد يقلب فى بقية الأوراق بالحقيبة، أخرج ملفا قديما من قاعها مغلفا بشريط من الساتان، فتحه ونظر فيه فوجد عقد زواج (هند) من (جلال)، وشـــهادة ميلاد قديمة قرأ فيها اســـم (طاهر إيهاب الشربيني) .. نظر إلى تاريخ ميلاده فوجده : (١٨ / ١١ / ١٩٦٠)

كاد أن يقلب فى الأوراق الأخرى عندما تنبه للتاريخ ..

تنبه (آســـر) إلى أن تاريخ الميلاد المدون هو نفس تاريخ ميلاد والده .. تساءل بينه وبين نفسه :

- كيف ذلك ؟! ومن (طاهر) هذا ؟! وما علاقة أبى به ؟!

تابع قراءة الأوراق ليجد شهادة ميلاد أخرى باسم ابيه (سليمان عماد الدين الغانم) تحمل نفس تاريخ الميلاد، واسم جده (عماد الدين) والجدة (زينب)، فابتســـم فى نفسه فلأول مرة يعرف اسم جدته ، لكنه إلى الآن لا يعرف سر احتفاظ والده بتلك الأوراق ..

تابـــع تنقله بين الأوراق لتصطدم بيده ورقـــة متهالكة مكتوبة بخط اليد ..

كانت خطابا مرسلا لشخص ما ..

***

المقدرة

ابنتى الغالية :

أعلم أنكِ لاتدرين عنى شـــيئا، وتعلمين - كما أخبروكِ - بأننى قد مت يوم ولادتك كما أخبروه عنى، علمت بالصدفة أنك لا تزالين على قيد الحيـــاة، أرجوكِ أن تبحثى عن حقك وحقى ممن كان ســـببا فى فراقنا منذ لحظة وجودك الأولى فى الدنيا وحرماننا من تلك المشـــاعر الغالية وحرمانى أنا بالذات من أن أشبع أمومتى بكما أنتِ وأخيك الذى لا أعلم عنه شـــيئا .. فلقد أفقدوه وجوده وحقيقته ..

حتى اسمه الحقيقى .. كما حرموه من أمومتى التى ماعشـــت إلا لأحياها ..

أعلم يا ابنتى أنك لن تصدقى ما أقوله إلا بإثبات قوى، فلتعلمى انه معه، فابحثى بين أوراقه، وابحثى تحت جلده إن استطعت، سوف تجدين الحقيقة التى عمل جاهدا على إخفائها وتشـــويهها وتغييرها أمام كل الناس، فأنا من مكانى هنا لا أستطيع أن أخرج وأعيش، ربما لأنى قد مت منذ زمن وتلك هى روحى الهائمة التى لن تســـتريح إلا بالانتقام منه، وربما هو بقايا جسد لا يقوى على الحركة .

أرجوك يا ابنتي، ابحثى عن الحقيقة وعندماتجدينها فأنا فى انتظارك كى أملأ عينيّ منك قبل الوداع الأخير ..

أمك التى حرمت منكِ دهرا ..

(هند)

***

توقف (آسر) عن القراءة وراح فى شرود عميق يحدث نفسه متعجبا :

- (هند) و(جلال) ؟!

(هند) مظلومة، سرقت وحرمت من أبنائها ..

و(جلال) ظالم وشيطان لعين ..

هل ما زال هؤلاء على قيد الحياة ؟!

ولماذا كل هذا الظلم ؟!

لماذا ظلمت (هند) إلى هذا الحد ؟!

وما علاقة أبى بكل هذه الأحداث، ولماذا احتفظ بتلك الأوراق وتلك القلادة الغريبة ؟!

من هؤلاء فى حياته؟!

هل كانت أمى تعلم شيئا عن هؤلاء وعن هذه الأحداث ؟!

عاد (آسر) من شروده محملا بكم هائل من التساؤلات والألغاز التى لا يعرف لها أجوبة ..

لملـــم الأوراق وأعادها للحقيبة، ثم وضعها فـــى الدولاب وأغلقه وعاد لفراشه وأطفأ الضوء واســـترخى باحثا عن النوم ..

***

(25)

أوشك الفجر على الظهور عندما تنبهت (منى) من نومها وهى تشعر بالعطش فأمسكت بالكوب بجوارها فوجدته فارغا، قامت بهدوء وخرجت من الحجرة واتجهت للمطبخ فأخرجت زجاجة ماء من الثلاجة وبعد أن ارتوت وجدت (ريم) تتجه إلى الشرفة فحيتها :

- صباح الخير، ماذا أيقظك مبكرا ؟
- لم أستطع النوم من الأساس ..
- ماذا حدث، هل أزعجك شيء؟
- هيا بنا نجلس فى الشرفة .. أحتاج استنشاق هواء نقى ..

خرجتا ســـويا وجلستا على مقعدين فى هدوء، وعادت (منى) تسألها بقلق :

- ماذا بك يا (ريم) ؟
- لا اعرف ماذا اقول لكن ..
- أكملى ما تريدين قوله ..
- أخبرتنى (سلمي) أن (آسر) اعترف لها بحبه ..
- نعلم جميعا أنهما معجبان ببعضهما وكان لابد أن يعترفا لبعضهما بالحب ..
- لكن ..

- لكن؟! ماذا هناك يا (ريم) أكملى ..

- كنت أتمنى أن يشعر بى (آسر) ..

- هل تحبين (آسر) ؟! لم يشعر أحدنا بذلك ولم تبدُ منكِ أى نظرات أو كلمات إعجاب به !

- كل مـــا فعلته كان حبا فيه .. خوفـــى عليه .. لقد اقترحت على (ســـلمي) القدوم إلى هنا من أجله؛ حتى يســـتريح مما حل به، لكن للأســـف بعد ما حدث اليوم تأكدت أنه لم يشـــعر بى يوما ..

- تعلمين يـــا صديقتى أننا لا يمكننا أن نتحكم فى مشـــاعرنا وليس لنا عليها ســـلطان .. ليس من حقك أن تلومى (آسر)؛ فالقلب وما يريـــد.. حتى أنك لم تظهرى حبك لـــه وكنتما تتعاملان كأخوة !

- وهذا ما زاد همى وألمى .. حب من طرف واحد ..

أتمنى لهما السعادة ..

أنا أحب (آســـر) وأحب (سلمي)، ولابد أنى سأتعافى من حبى له يوما ما ..

احتضنتها (مني) فـــى محاولة منها للتخفيف عـــن صديقتها التى طلبـــت منها ألا تخبر أحدا بمـــا دار بينهما ..

***

(26)

فـــى الواحة وبينما عزمت الشـــمس على الشـــروق كانت الحياة قد بدأت دورة يوم جديد، حيث اســـتيقظ عدد من سكانها وبدأوا فى ممارسة أعمالهم اليومية ..

وفى دار الشيخ كان نائما ينتفض والعرق يتصبب على وجهه ويتمتم بعبارات غير مفهومة، بعد لحظات انتفض صارخا وكل جســـده يرتجف وملابسه مبللة بالعرق، فأسرعت إليه زوجته (فاطمة) مفزوعة تسأله بقلق :

- خيرياشيخ فيك إيه ؟! ليه بتصرخ وليه العويل؟!

الشيخ ينتفض :

- مقدرة .. شـــوفى فين مقدرة .. لازم أراها الحين .. ياويلى من اللى جاي، ياويلى من اللى جاي.

- اهدأ ياشيخ، والله أحلام مشـــئومة .. أنت بخير، أنا هدور لك شاى أخضر يخليك عال..

الشيخ صارخا :

- قلتلك لا بد أشوف مقدرة الحين ..

انتفض من فراشـــه وأسرع خارجا من داره، تنفس بعض الهواء النقى ثم تلفت حوله فرأى أحد الشباب قادما نحوه فناداه

- ياولد، روح نادى مقدرة، قولهـــا الأمر خطير ولا بد تيجى الحين .. بالعجل يلا .

المقدرة

أســـرع الشاب إلى دار المقدرة ودق الباب وانتظر قليلا ثم عاد فدقه عدة مرات إلا أن الباب لم يفتح فتجرأ ودفع الباب بيده ودخل ..

وماهى إلالحظات حتى خرج من دارها صارخا:

- المقدرة ماتت ..

المقدرة ماتت ..

الحق ياشيخ، الحقونى ياخلق .

أسرع الشيخ مفزوعا على صراخه بينما تجمع حوله الرجال والنساء غير مصدقين ..

وصل الشيخ إليه، وصرخ فيه بفزع :

- ليه بتصرخ كأن القيامة قامت ؟!

الشاب منتفضا :

- المقدرة، ياشيخنا، المقدرة ..

الشيخ وهو يندفع داخلا :

- مالهاالمقدرة ؟!

بالداخل فوجىء الشـــيخ بالعرافة ملقاة علـــى الأرض وقد جحظت عيناها وانقطعت أنفاســـها، وعلى وجهها آثـــار الفزع الرهيب ..

شهق وتوقف للحظات لايدرى ماذايفعل ..

حاول أن يســـتجمع شـــجاعته واقترب منها ببطء وجثاعلى ركبته بجوارهـــا وتأمل حالتها .. لاحظ أن كفها قابضة على بقايا مســـبحة بينما انفرط خرزها حول يدها على الأرض .. فتح كفها ببطء فشاهد جعرانا مرســـوما على بطن يدها محترقا كختم على يدها ..

فـــزع وهم واقفا يتلفت حوله باحثا عن الودعات التى كانت بحوزتها فى المساء فلم يجدها .. انتفض من مكانه على صوت رجل يشهق خلفه فالتفت إليه وهولازال غيرمصدق موت العرافة !

الرجل:

- المقدرة .. هى ماتت ياشيخ ؟!

أومأ الشيخ برأســـه وخرج من دارها مسرعا إلى داره وهو لايدرى ماذا يفعل فيما أصابه..

***

فى المســـاء كان الشيخ فى داره واضعا رأســـه بين كفيه مهموما .. اقتربت منه زوجته بهدوء وهـــى تربت على كتفه قائلة :

- مالك يا شيخ شايل الهم كأن أوانك آن !

الشيخ يتنهد :

- المقدرة ماتت يا(فاطمة)، ماتت قبل الأوان بأيام، وسابتنى فى مصيبتى وحدى، كان عندها حلول وكانت بترتب شىء لصالحنا، وأنا الحين ضايع وماعندى أى حل، خايف أتصرف وحدى أقع فى شر عملى ..

ربنا يسترعلينا .. يارب..

- ياشيخ، المقدرة قالتلك ترد الأمانة لأصحابها ..

ردها ياشـــيخ هاترتاح، بقالك عمر وأنت الفزع ماليك وبتنتظر يوم لابد جاى، وأنت هرمت وما عاد ليك طاقة تشـــيل أى حمل ..

ردالظلم اللى وقع زمان، وانجى بولدك، وسيبها على الله..

الشيخ بضعف :

- والله أوان الرد مضى، وأناظالم ..

أخفيت الحق وما سلمت من الظلم، بإيه ينفع الرد بعد الأوان ما فات ؟!

- افعل الخير تنحى الخطية، وأنت حقانى على أهلك وناسك، كيف ماتكون حقانى مع الغريب ؟!
- ازاى أرده بعد كل العمر اللى عدى ؟! المقدرة كانت عارفة الطريق، من بعدها صرت هالك والله..
- اتبع العلامات ياشـــيخ، ارجع للقديم ودور، والله هاتعرف طريقك، أفضـــل ماتقعد وتندب مثل الولايا.

نظر إليها الشيخ برهة بصمت ث متابع :

- والله هديتينى يا(فاطمة) ..

هأقصد الطريق اللى مشيته من زمن وربى يعيننى ..

رفع رأسه لأعلى متمتما :

- توكلت عليك ربى .. أعنى يارب.

***

(27)

فى القرية كان الشـــباب يستعدون للذهاب إلى مزرعة خال (أحمد) وقد التفوا حول الســـيارتين يتضاحكون .. تثاءب (كريم) وتمطى وهو يحـــاول أن يزيل أثر النوم عنه؛ فنظرت له (ريم) وضحكت قائلة :

- هكذا يكون حال من لا يسمع كلام أمه وينام مبكرا ..

(آسر) :

- لو غسلت قدميك قبل النوم لكنت استيقظت أكثر نشاطا ..

ضحك الجميع على نكتة (آسر) فنظر لهم (كريم) بغيظ :

- ابحثوا عن سائق يوصلكم إلى المزرعة، فلن أقود السيارة ..

(سلمي) :

- لا تغضب منهم يا (كريم) فهم لم يحتسوا الشاى باللبن بعد ..

تراجع (كريم) عن موقفه بعد مزحة (سلمي) واتجه نحو السيارة ..

استقل الأصدقاء سيارتيهما واتجها نحو المزرعة ..

(منى) :

- هل المزرعة قريبة من هنا أم أننا سنستغرق وقتا طويلا فى الطريق ؟

(أحمد) :

- نصف ساعة على الأكثر ..

(عبد الرحمن) :

- وهل سنجد الغداء الذى وعدتنا به أم أننا سنعود جوعى ؟

(أحمد) ضاحكا :

- هكذا أنت دائما لا يهمك سوى الطعام .. لا تقلق يا صديقى ستجد كل ما تشتهيه نفسك هناك ..

فضحكت (منى) والتفتت لـ(ريم) فوجدتها تنظر إلى السيارة التى تسير خلفهم والتى يستقلها بقية الأصدقاء فسألتها همسا :

- ماذا بك ؟!

انتبهت (ريم) الى حديث (مني) :

- لا شيء .. أنا فقط أطمئن أنهم خلفنا، فـ(كريم) لا يعرف الطريق وأخشى أن يضل عنا ..

(عبد الرحمن) ساخرا :

- ولماذا صنعت تلك الهواتف التى نحملها ؟!

أما فى السيارة الأخرى، كان (كريم) يقود وقد جلس (آسر) بجواره بينما جلست (سلمى) فى الخلف، وبينما السيارة تقطع الطريق فتح (كريم) حوارا وديا مع (آسر)على سبيل الاعتذار الضمنى :

(كريم) :

أشعر انك تحسنت كثيرا هذه الأيام .. أليس كذلك يا (سلمي) ؟

(سلمى) مبتسمة :

- معك حق .. هو كان بحاجة إلى رحلة مثل هذه ونحن أيضا ..

(آسر) ضاحكا :

- شكرا جزيلا لكم، أسأل الله ألا يحرمنى أبدا منكم ومن تدلليكم لى ..

المقدرة

(سلمي) :

- تدليلنـــا ؟ يبدو أنك كنت بحاجة إلى التدليل ! يجب أن تعى جيدا التدليل هذا الأسبوع فقط وبعد العودة إلى القاهرة يجب أن تعود إلى حالتك الطبيعية وتطيع الأوامر !

***

(28)

بعد حوالى الســـاعة وصل الأصدقاء إلى المزرعة ليجدوا خال (أحمد) وابنه فى انتظارهم على مدخلها؛ فحيوهم جميعا ودخلوا إلى الاستراحة وجلسوا فى شرفتها المظللة بالورود ..

الخال مبتسما :

- حمدا لله على ســـلامتكم .. شكرا لكم على تلبية دعوتى لكم بقضاء الأيام القادمة معنا ..

تبادل الأصدقاء نظرات التعجب إلا أن (أحمد) قد ســـارع بالرد على خاله ضاحكا :

- كنا نتمنى أن نقضى هنا فترة طويلة لكن الوقت لا يســـمح إلا بيوم واحد فقط ..

الخال متعجبا :

- يوم واحد فقط ! لقد أعددت نفســـى لقضائكم أربعة أيام على الأقل معى هنا ..

ويكمل الخال ما زحا :

- كنت أتمنى أن تقضوا معى فترة أطول .. فالحياة هنا ستعيد إليكم شبابكم ..

تعالت ضحكات الأصدقاء من مزحة الخال التى قاطعتها (سلمي) :

- ألا ترانا شبابا ؟

المقدرة

أكمل الخال مزاحه :

- أقصد شبابا مثلى ..

تعالت ضحكاتهم مرة أخرى لسعادتهم بانسجامه معهم وقد راقهم سلاسته وخفة ظله وبساطته فى التعامل معهم رغم رؤيته لهم لأول مرة ..

تساءل (عبد الرحمن) عما إذا كان هناك غداء قد تم إعداده أم لا، ليقاطعه الرجل على الفور بأن الفطور قد تم إعداده ..

قام (آسر) يجول بناظريه فى محيط المزرعة حوله وإلى المنطقة المحيطة بها مبتسما ومستمتعا ليبدى إعجابه بها ويطلب من الرجل النزول إلى المزرعة للتجول بها ..

نزل (آسر) إلى محيط المزرعة يتجول بين المزروعات وراح يتأمل حدود المزرعة المسيجة بأذرع خشبية ومحاطة بالأسلاك الشائكة، كان الجو صحوا فمشى مستمتعا، بعد لحظات وصل للسياج المواجه للاستراحة فوقف يتأمل المساحة الواسعة أمامه .. شعربانعكاس ضوء الشمس على عينيه فظللهما بكفه، ومن بعيد ظهرت دائرة على الأرض قطرها لايقل عن عشرة أمتار، كان الانعكاس قادما منها، حاول أن يمر من بين السياج ففشل، فعاد ينظر لها ويتأملها .. إلى أن سمعهم ينادون عليه، فالتفت إليهم وأشار لهم، ثم سار عائدا بهدوء متناسيا تلك الدائرة

***

(29)

شارفت الشمس على المغيب والهدوء يعم جميع الأرجاء ..

فى الاســـتراحة، كان الجميع ملتفين حول مائدة أرضية كبيرة وقد افترشـــوا الأرض على وســـائد قطنية، يتناولون الغداء المكون من البط والحمام والفطير المشلتت ..

(عبدالرحمن) :

- لطالما حلمت بأن أمتلك مزرعة مثل هذه ..

(كريم) :

- غريبـــة هذه الأمنية .. لم تكن هوايتـــك الزراعة ولا الأماكن مثل هذه ..
- أسأت الفهم يا صديقى .. أحلم بمزرعة مثل هذه كى أتناول البط والحمام يوميا ليس أكثر !

ضحكوا بشـــدة على رده ثم التفتوا للخال وهو يشير له ويبتلع مافى فمه :

- هل تعتقد أنك لو امتلكت مزرعة مثلها وأكلت ما تنتجه ســـتنجح فكرتك ؟! ما تنتجه المزرعة نبيعه ونحصل من خلال تجارة الفاكهة والطيور على أموال جيدة، أما إذا اتبعنا فكرك فلن يكون هناك مزرعة فى غضون شهرين ..

تابع الاصدقـــاء حديثهم حتى انتهوا من تنـــاول الغداء وحان وقت الشاى ..

تناول (آسر) رشفة من الشاى باستمتاع ثم وضع الكوب الساخن على منضدة صغيرة واســـترخى يتأمل آخر خيوط النور مع غروب الشـــمس والهدوء الممتع المحيط به ..

شـــرد ببصره مرة أخرى رغما عنه إلى مكان الدائرة وراء الســـياج .. فجأة ملأ الضباب المكان وسمع الموســـيقى تصدح عالية فانتفض معتدلا وركز بصره على الدائرة فوجد امرأة نائمة وســـطها !

قام من مقعده واتجه نحو الســـياج حتى وقف أمامه فوجد المرأة تقوم بهدوء وترقص على أنغام الموسيقى العالية ..

وقف متعجبا مما يراه ..

المرأة تشـــير نحوه وهى ترقص وتبتســـم له ثم توقفت الموسيقى بعد دقائق ونظرت له المرأة بثبات ليتفاجأ بشعاع ضوء شديد يرتطم به فأعماه للحظات وجعل جسده كمن مسته الكهرباء من شدة الانتفاض .. بحث عن صوته فوجده أخيرا ليطلق صرخة عالية وتختفى المرأة ويسقط على الأرض مغشيا عليه..

ســـمـــع الجميع صرخته فأســـرعوا إليه مفزوعين وقد نســـوا الطعام فوجدوه واقعـــا على الأرض !

جثت سلمى على ركبتيها بجواره صارخة تطالبه بأن يجيبها ..

تجمـــع الأصدقاء حوله ليحملوه ويدخلوه إلى الاســـتراحة، فى حين أســـرع الخال نحو هاتفه للاتصال بالطبيب .

***

(30)

مع اختفاء آخر خيوط النهار وبداية الليل ظهرت سارة وهى تسير متعثرة فـــى ثوبها الأبيض الفضفاض تبكى وتصـــرخ مناديه على (الحاجى) ..

من وســـط الضباب الذى يغلف المكان ظهر الرجال الثلاثة وأسرعوا يساندونها حتى وصلت للحاجى فارتمت على الأرض باكية مستجدية ..

(الحاجى) :

- ماذا بك ؟! ماذا حدث يا ابنتى ؟!
- هناك كارثة .. ســـيضيع الولد إذا لم يظهروا . النائبة الكبرى أنهم لن يستطيعوا الظهور أبدا !
- ماذا حدث أخبرينى ؟!
- ماتت العرافة واختفت الجعارين وسيعاود الأشرار الظهور ..
- كيف ذلك ؟

قالها (الحاجى) غاضبا والتفت للرجال :

ألم آمركم أن تراقبوا كل شيء وأن تتولوا حماية (سارة) والولد ؟!

- لقد نفذنا ما أمرتنا به، لكن القدر منعنا من التدخل فى أعمال البشر لأننا لا نستطيع الظهور .. وقد طلبنا منك الإذن لنا بالظهور منذ ليلتين ولم توافق حتى أصبح ظهورنا مستحيلا !
- لن تســـتطيع (ســـارة) مجابهة الشـــر وحدها، والولد لن يســـتطيع التصـــرف إذا ظهرت له ..

(الحاجى) :

- ماذا نفعل الآن ؟

انهارت (سارة) فى البكاء :

- المصيبة أن موعد ظهور الشـــر مع طلوع البدر، وســـيكون معها أتباع كثيرون وأنا قلقـــة على الولد وأخته ..

(الحاجى) :

أنتِ الوحيـــدة القادرة علـــى مواجهتها .. أنت وحدك تســـتطيعين حمايتهم من شـــرها ..

(سارة) :

- كيف ذلك يا أميرنا ! .. كيف ؟!

- هل نسيتِ أختك يا سارة ؟!

انتفضت من انهيارها فأكمل :

- نعم .. أختك الوحيدة .. تعرفين كل شيء عنها، نحن لم نكن يوما سوى أسباب يا ابنتي، لكنك أنت أساس كل شيء، ولا تخافى بأسها سنكون جميعا بجوارك .

قالها ثم عاد إلى مقعده أمام الضوء الباهت ثم التفت نحوهم :

- ســـأفعل المســـتحيل حتى أعيد الجعارين مرة أخري، وإذا لم أستطع فليس لدينا ســـوى حل وحيد .

احد الرجال :

- ما هذا الحل؟ أخشى أن يكون ..

(الحاجى) مقاطعا :

– نعم هو .. ليس هناك حلول أخرى ..

الدم يهدر دما ..

والعهد مقطوع ..

ولابد أن يعود الحق إلى أهله !

***

(31)

فى ظلمة الليل وفى درب صحراوى خال من البشر، كان الشيخ يسير مستندا على عصاه بخطوات واسعة وكأنه يريد أن يسابق الزمن، ومن بعيدلاح له ضوء نار، فاقترب بحذر حتى رأى بيتا وحيدا فى الفراغ لا يخفيه عن الأعين إلا عدة شجيرات على جانبى الطريق ..

ما إن وصل حتى تلفت حوله يمينا ويسارا فلم يجد أحدا .. اقترب من البيت حتى وصل أمام الباب فدفعه بحذر فأصدر أزيزا عاليا ..

خطا داخل البيت ووقف ينصت ويحاول أن يرى وسط الظلام والأتربة لكنه لم يسمع شيئا، أضاء عود ثقاب ليصدمه وجه مشوه يضحك فى وجهه بفم خال من الأسنان ..

فزع وشهق وتراجع خارجا من البيت مسرعا وهويردد :

- أعوذ بالله من غضب الله .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. أعوذ بالله..

وقف أمام البيت لحظات يلهث وهو ينظر نحوه فى فزع إلا أنه سمع ضحكة شيطانية عالية تتردد حوله مما زاد من فزعه فأسرع الخطى مبتعدا بأقصى طاقة يسمح بها سنه إلى الطريق الذى جاء منه، بعد لحظات شعر بألم شديد فى صدره فترنح قليلا ثم جلس تحت شجرة ليلتقط أنفاسه يحاول أن يخفف من الألم ألذى كاد أن يقطع أنفاسه..

الشيخ لنفسه :

- إيه جرالك يا ((نعمان)) ؟ ليه الفزع اللى أنت فيه ؟ أنت جاى

وعارف اللى راح تلاقيه فى الدار دى، أمال لو ما كنت حاسب حساب الطريـــق كان بقى إيه حالك ؟ مت؟ لأ لأ .. ارجع تانى وكمل .. لو عدت الواحه بدون ما تكمل اللى بديته حايجيلك الشـــر لدارك، ويخطف كل ولد الواحة .. وياعالم إيه تانى راح يكون .. لابد اعود من تانى، إســـتودعتك ربى حالًا .. قدرنى على اللى جاى واجعلنى أرد الأمانة قبل فوات الأوان ..

نهض مترنحا وعاد مرة أخـــرى لنفس البيت حتى وصل للباب فتردد قليلا ثم وضع يده بجيب العباءة ليخرج خرزات سبحة العرافة التى وقعت من يدها عند موتها .. فأمسكها بيده مع رأس السبحة التى كانت على هيئة جمجمة فضية وأخذ نفســـا عميقا ثم دفـــع الباب ودخل .. لكن تلك المرة كانت الشـــموع المضاءة فى كل أرجاء البيت على نحو جعله يتلفت حوله عدة مرات، بالرغم من حالة الفزع التى تملكته إلا أنه نادى من مكانه :

- أنا هنا .. جيت ومش ناوى أرحل قبل ما أعيد الحق من تانى لأربابه.. وأنا بأعرف إنـــك منتظرة من أجلٍ قديم فلـــو لازمك الحق يبان ويعـــود لك لابد تظهرى و كفانا منك خوف وفزع عمرطويل ..

انتظر لحظـــات ليجد باب الحجرة يفتح لتخرج منه امرأة حســـناء مغلفة بالسواد ووجهها للأرض لا تتضح معالمها جيدا من ظلال البيت ..

اقتربت منه وامتدت يدها لتمسك شمعة مضاءة وترفعها أمام وجهها الذى بدأت ترفعه ببطء حتى واجهت الشـــيخ الذى تعجب من شـــبابها رغم عمرها الطويل الذى تعدى الســـبعين من عمر الزمان، حين وضحت معالمها ظهرت بصورة (سارة) .. نفس الوجه والشعر والعينين والنضارة..

المرأة:

- إيه اللى جابك هنا ؟ جاى ترد الأمانة ؟ بعد كل العمر ده ؟ وكنت فين طول الســـنين اللى فاتت ؟! المقـــدرة كانت بتحميك .. مش

كـــدة ؟! ويا ترى هى فين دلوقت ؟! هـــى اللى سمحت لك تيجى وترجع الحق اللى ضاع عندكم ســـنين ليه ؟!

اســـتوعب الشـــيخ أنها لا تعلم بموت العرافة وشـــعر بأنه لا يجب أن يخبرهـــا بموتها، لذا فقد تنحنح ثـــم قال بهدوء :

- نعـــم .. مقدرة هى اللى سمحت لى آجى وأرد الحق لأصحابه ويكفى كل اللـــى فات حتى ترتاحى وكلنا نرتاح .. إيه قولك ؟!

نظرت له المرأة لحظات ثم أطلقت ضحكة شيطانية اهتزت لها جدران البيت وهى تصيح فيه بصوت كالفحيح :

- قولى ؟!

بعد مامت ؟!

بعد ما لعنتى حلت عليكم ؟!

أنت جاى النهاردة تحيينى من وسط الموت ؟!

مستحيل .

- لازم توافقى .. ماعاد فـــى العمر أد اللى راح، ولازم ترضى بالمكتوب، هذا مكتوب علينا كلنا، ســـواء رضيتى أورفضتى، الشـــر واقع واقع، وكلنـــا عباد الله ومافى حد معصوم ..

كفاية العمراللى ولى، كفاية الخوف والفزع اللى كانوا أنفاســـنا وفرشـــتنا، ويومنا بنهاره اللى مليان سواد ..

- وفر كلامك ياشـــيخ، أنت رضيت باللى حصلـــى، أخدت ابنى منى وقبضت التمن، ورضيت تشارك إبليس فى خطته، عاهدت الشيطان، ليه خايف النهاردة من عهد الشـــيطان ؟!

ليه عاوز تتوب وأنت ميت؟

ابنى ..

وضمت جسدها بذراعيها وانتفضت باكية بنحيب ..

- هونى على روحـــك، مافى حد بيدرى حكمة الخالق فى اللى حصل ولا حـــد بيدرى فين الخير فى اللى دار من زمن ..

المرأة وقد تحول وجهها إلى عجوز دميمة :

- أى خير اللى بتتكلم عنه ؟ ابنى ســـرقتوه منى وجســـمى شـــوهتوه بكل أنواع العذاب وروحى دفنتوها وهى لســـة حية جوه جســـمى ولما اســـتنجدت بيك ســـلمتنى ليه بدل ماتســـاعدنى وترجعلى حقى، النهـــاردة أنت مش حاترجع الحق، الحق مات لمـــا قتلتونى، أنا اللى راجعـــة النهاردة آخد حقى منك ومنهم ومن نســـلهم..

الشيخ مفزوعا :

- اتقى الله، إنتى إيه، شيطانة من جهنم ؟

المرأة تمسك معصمه بقوة :

- أيوة ..

لكن انتم إللى حولتونى للشيطانة دى ..

تحب تشوف إزاى ؟

ساجعلك تشاهد ماحدث

***

(32)

فى المزرعة كان الفجر قد أوشـــك عندما فتح (آســـر) عينيه وهو لا يســـتوعب ما حوله، فنظر له أصدقائه بســـعادة عندما قال الطبيب :

- الحمد لله، لقد استفاق صديقكم، الآن هو بحالة جيدة، لكن لا دعى للتوتر مرة أخري، يبدو أنه يمر بظروف ليست جيدة ..

الخال :

شكرا لك، أرجو تقبل اعتذارى على إزعاجك ..

الطبيب :

- لا شكر على واجب، اسمحوا لى بالانصراف ..

التف الأصدقاء حول (آســـر) الذى بدأ يســـتوعب ماحوله بصعوبة، أخيرا استطاع تمييز أصواتهم .. حاول النهوض ليزيدهم اطمئنانا عليه لمـــا رأى فى عيونهم من قلق لكن تدخل (كريم) لينهى حالة التوتر التى ســـيطرت عليهم ممازحا (آسر) بأنه قد أكل أكثر مما يجب ..

ارتسمت البسمة على شفاههم حينما ابتسم (آسر) لـــ(كريم) متقبلا مزاحه، فى حين عرض ((أكرم)) عليهم اصطحابهم معه إلى الأسكندرية فى صباح اليوم التالى ..

الخال :

- أين ستجد مكانا أجمل من هنا ؟ هدوء وخضرة وطعام طيب ؟!

(مني) :

- فكرة رائعة .. لم أزر الأسكندرية منذ طفولتى ..

(أحمد) :

- وأنا أيضـــا لم أزر الأســـكندرية منذ زمن بعيد .. أنـــا أول المرحبين بالفكـــرة.. لنذهب غدا فـــى الصباح ونعود مـــع نهاية الليل ..

أبدى الجميـــع موافقتهم علـــى الذهاب إلى الأســـكندرية، فى حين استسلم الخال الى رغبتهم ودعاهم إلى النوم حتى يتحملوا عناء الطريق، وأنه سيعتنى بـــ(آســـر) حتى يخلد إلى النوم ..

فى غرفة الخال جلس برفقة (آســـر) الذى كان قد بدأ يشعر بقليل من الراحة .. حـــاول الخال تجاذب أطراف الحديث معه :

- ماذا بك يا صديقى ؟ ما سبب هذا الإغماء ؟ أخبرنى بما حدث عند سياج الحديقة ..

- أنا ..

- كنت تنظـــر إلى الدائرة خلف الســـياج .. مـــاذا رأيت هناك كى يفزعـــك إلى هذا الحد ؟

- لا أستطيع تذكر ما حدث ..

- لا تخف .. أنا أعى كل شـــيء، هذه الدائرة ظهرت منذ أسبوع وهذا ما أتى بى إلى المزرعة .. الحارس أخبرنى أن كرة من النار ســـقطت من الســـماء وأحدثت ضجيجا وحريقا بجـــوار المزرعة، وحين رأيتها حمدت الله أنها ســـقطت خارج المزرعة، بعد أن انطفأت النيران ظلت هذه الدائرة مرسومة هكذا من أثرها ..

- وهل صدقت كلام الحارس بأنها سقطت من السماء ؟!

- لا أعتقد ذلك، ولو كان كذلك لاجتمعت الدنيا كلها هنا ..

تنهد (آسر) محاولا البوح لكن لسانه قد عقد مرة اخرى :

المقدرة

- أنا ..
- تحدث يا صديقي، لا تخـــف .. أخرج لى ما بقلبك فلعك تجد ما يريحك ..
- كنت أتمنى لو أن أبى كان حيا إلى الآن .. أنا فى أمس الحاجة إليه أكثر من أى وقت مضى ..
- هل يمكننى أن أضع نفســـى مكانه ؟ اسمح لى أن أعتبر نفسى مكانه وســـتجدنى قدر المسئولية فى أى وقت وفى أى مهمة ..

ابتسم (آسر) حين ربت الرجل على كتفه واحتضنه كى يخفف عنه آلامه محاولا انتزاع تلك الهموم التى أحلت بقلبه ..

***

(33)

مع ظهور بشائر الفجر كان (الحاجى) متجها نحو واحة البدو برفقة (ســـارة) .. وما أن وصلا حتى أوقف أحد الرجال وســـأله عن دار الشيخ ((نعمان)) ليشير له الرجل نحو الدار التى كانت قريبه من موقعهم ..

تابعا السير حتى وصلا إلى دار الشيخ؛ فطرق (الحاجى) الباب وانتظر قليلا حتى فتحت زوجة الشيخ لهما ..

(فاطمة):

- أهلا وسهلا .. خيرا يا شيخ؟!

(الحاجى):

- والله بنسأل عن الشيخ (نعمان) ودلونا على الدار، ياترى هو موجود؟

(فاطمة):

- هو على وصول يا شيخ .. فى شيء أقدر اقدمه حتى يوصل؟

(الحاجى) :

- والله إحنا جايين من ســـفر وكان لازم أقابلة لأن عندى له أمانة لا بد اردها ..

ففتحت (فاطمة) الباب على اتســـاعه وابتســـمت وهى تفســـح لهما الطريق :

- والله زمانه جاى، اتفضل يا شيخ ارتاح من الطريق على ما يوصل .. ادخلى ياشابة بيتكم ومطرحكم .. إتفضلوا ..

المقدرة

دخل (الحاجى) و(ســـارة) الدار وجلســـا .. أحضرت (فاطمة) صينية عليها أقداح فارغة وإبريق للشاى ووضعته على جره حديدية عليها فحم موقد وجلســـت مبتسمة لهما فسألها (الحاجى) :

(الحاجى) :

- وإيه أخبار الشيخ ؟ كيف صحته ؟

(فاطمة):

- والله يا شيخ الزمن بيخط خطوطه واحنا مانقدر نعترض .

(سارة):

- يا أمى، الطريق كان طويل علىّ .. أريد ارتاح .. تســـمحى لى أريح بدارك دقايق على مايوصل الشيخ؟

(الحاجى) يلتفت لـــ(سارة) :

- تحشمى يابنت، الدارماهى دارنا حتى ناخد راحتنا .. فيه أصول ..

(فاطمة) :

- بتهيننا ياشـــيخ ؟ الدار داركم واحنا أغراب .. قومى يابنتى ادخلى مقام الشيخ حتى يعود .. الدار دارك ..

نظرت ســـارة للـــ(حاجي) ثم قامت ودخلت حجرة الشـــيخ واغلقت الباب خلفها..

***

(34)

أما الشيخ (نعمان) فكان فى خطب عظيم ..حيث قادته المرأة فى رحلة عذاب طويلة بدأها منذ زمن ليس بقريب ..

حـــين أخذ المولود من القابلة وعاد إلى الواحة وترك زوجها لها وحيدة فى ذلك البيت المهجور مقيدة تنزف دمائها ..

- شايف ياشيخ ؟ هنا ابتدت رحلتى مع العذاب والظلم، سابنى علشان أموت بانزف فى بيت حقير متكتفة، باصرخ على أى حد يســـمعنى، مافيش غير الموت محاوطنى من كل ناحية ..

يتغير المشهد بآخر، عندما تفك قيودها بأيدٍ تنزف دما ..

بجسد منهك ووجه شاحب فى ثياب رثة متهالكة تترنح متجهة نحو باب المنزل القميء تتحسس طريقها وتتلفت حولها برعب فلا تجد أحدا، لتدفع الباب وتنطلق فى الصحراء المظلمة الخاوية إلا من عواء وحوشها الضالة، حتى تصل إلى ذلك الممر الضيق والمحاط بالأشجار..

تقاوم هزلها ما بين سقوط ونهوض تقاوم الموت حتى تشققت قدماها ونزفت دما من قسوة حجارة ذلك الممر الطويل، حتى وصلت إلى الواحة، لتجثو على ركبتيها صارخة حتى تجد من ينجدها أو يقدم له العون ..

انتفض الشـــيخ من صراخها الذى يتابعه فى مشهد جسدته له تلك المرأة بوجه شيطان ..

- فاكر يا شـــيخ ؟ فاكر لما جيت اســـتنجد بيك وبأهلك وأنا مش عارفة إنك أنت اللى أخدت ابنـــى وخفيته عندك، وأول ما أخدتنى

لـــدارك وسمعت حكايتى، بعتت رجالتك لـــ(جلال) علشـــان يجى يتصـــرف معايا بدل ماتطلب البوليس وتنجينى منه، ســـلمتنى ليه بإيديك .. فاكر؟

شوف بعينيك كل اللى جرالى ..

يتغير المشهد مرة أخرى :

(جلال) يدخل عليها دار الشـــيخ ويســـحبها من شـــعرها ويكيل لها الضربـــات بقدميه ويديه، ثم يســـحبها من ذراعيها للخـــارج ويلقى بها على الرمـــال، والجميع يقفون ويتابعون ما يحدث دون أن يحرك أحدهم ساكنا ولا أحد يجرؤ على أن يخلصها من يده، فى وسط الساحة كبلها بالحبال مرة أخرى وهو يصرخ فى الجميع بوحشـــية :

- الحيوانة دى تسيبوها كدة زى الكلبة، لا أكل ولامية لغاية ماتموت ..

إنت سامع يا (نعمان) ؟ وياريت لما تبعت لى المرة الجاية تبقى تبعت لى خبرها .. إنت فاهم ؟

وأخرج رزمة مالية وألقاها له وتركه وانصرف وقد أغمى عليها.

- فاكر يا شيخ ؟

فاكر لما ســـبتونى مرمية على رملة الصحرا تلات أيام من غير أكل ولامية ولادروة من الشمس اللى حرقتنى ولا توب يغطينى من برد الليل، لولا العرافة، هى اللى رويتنى وفكت أسرى وهى إللى هربتنى فى عز الليل وهى برضة اللى عرفتنى على عدو (الحاجى) ..

خبتنى فى بيتـــه بدون علمك ولما رجعت الواحـــة بعد طلوع النهار وشـــفتها وســـألتها علىَّ قالت لك إنـــى مت وإنها دفنتنـــى فى الجبل ســـاعتها.. إنت ســـكت مافكرتش فى اللى جـــرالى ولا فى حياتى ولافى موتى، لكن ريحت نفســـك وعشـــت حياتك..

وتنهدت ..

تغير المشـــهد مـــرة أخرى لتظهر صـــورة المرأة فى بيـــت حقير نائمة متهالكة على الأرض، من بعيد كان هناك رجل بشع الخلقة قادما عليها، فانتفضت جالســـة تبكى .. فاقترب منها وأمسك يدها برفق وساعدها على النهوض ونظر لها قليلا وهى تنتفض، ثم ســـألها :

- مين اللى عمل فيكى كده ؟
- جوزى..
- وإنتِ عملتِ له إيه علشان تعيشى العذاب ده كله؟!
- حبيته وأمنته على كل ما أملك ووثقت فيه ..
- ماجزاء الإحسان إلا الإحسان .. وإنتِ عاوزة إيه دلوقت ؟
- عاوزة ابنى اللى خفاه وكان عاوز يقتلنى بعدما أخد كل حاجة.. أناعاوزة ابنى وبس .. ياخد اللى هو عاوزه، بس يسيبلى ابنى..
- لكن ابنك مش ممكن يرجع لأنه مش موجود..

المرأة تقاطعه :

- يعنى (إيهاب) ابنى مش موجود ؟ وليه مش ممكن يرجع ؟
- لأن ابنك مات .. مات يوم ما اتولد، واتدفن فى الصحرا !

المرأة صارخة :

- لأ ..لأ ..لأ ..ابنـــى أنا ؟ مات ؟ قـــدر يقتل ابنه؟ قدر يقتله ؟ ليه؟ ليه؟! ده حرام ..حرام ..حـــرام ..ليه ياربى كده ؟ ليه ؟
- مش هو قال لك إنه حايقتله ؟!

مش قال لك إنه حايحرق قلبك عليه ؟! هو نفذ اللى قاله !

- لأ ..لأ ..لأاااااااااااااا ..

صـــوت بكاء حزين، ثم لحظات من الصمـــت القاتل فى هذا الضباب الغريب الشديد الكثافة..

المرأة بحزن :

- شفت ياشيخ ؟!

شفته عمل فىَّ إيه ؟!

أخد فلوسى وفيلتى وأرضى وقتل ابنى، وكان مصر يقتلنى أنا كمان لولا العرافة وكل ده كان بعلمك وبمساعدتك..

وإنت ما اتكلمتش كلمة حق واحدة .. ولا دافعت عنى..

الشيخ منهارا:

- كفاية حـــرام عليكى .. أنا مش متحمل كل ده .. لو كان بإيدى أطلـــع ع الغيب والله ما كنت قصرت لحظة فى قول الحق ولاقصرت فى مساعدتك لآخر نفس فى صدرى ..

دة شىء رهيب .. رهيب ..

كفاية اللى فات وقول لـ إيه بتريدى منى والله .. حقك واصل مهما كان التمن ولو حتى حياتى ذاتها..

المرأة تطلق ضحكة شيطانية :

- حياتـــك ؟! حياتك إيه ياشـــيخ ؟ حياتك ماتســـواش عندى ابنى اللى مـــات، ابنى اللى أخدته بإيدك الواحـــه وخليت (جلال) يقتله ومأنقذتـــوش من الموت ..

الحكاية لسة ماخلصتش يا شيخ، لازم تشوف الباقى علشان تعرف أنا هاعمل إيه، وهانتقم إزاى ..

تحول المشهد مرة أخرى، لتظهر هى جالسة القرفصاء وأمامها الرجل بشـــع الخلقة، وأمامهما على الأرض خمســـة جعارين على شكل دائرة، والنارموقدة وسطها ..

رفع الرجل وجهه إليها وسألها :

- جاهزة ؟

المرأة والدموع تملأ عينيها :

- أيوة جاهزة..

- الجعارين دى فيها انتقامك، هاتقومى من الموت وقت ماتحبى، كل مرة بجعران منهم ..

وقصاد روحك روح منهم تنتهى ..

وقصاد كل انتقام واحد هايموت..

- لأ، أنـــا عاوزة اعيش مـــرة واحدة بس، أنتقم فيهـــا منهم كلهم .. أنا مش قادرة أعيش، ولاعاوزة أعيـــش، الحاجة الوحيدة إللى ممكن ترجعنى تانى للحياة هى إنى أنتقم منهم كلهم، إنى أشـــوف الرعب والفزع فى عنيهم وأنا بادمرهم .. وأنابانزع أرواحهم من أجسامهم.. أقتلهم زى ماقتلوا ابنى وقتلونى..

- يبقى قوتك هاتكون فى الخمس جعارين مجتمعين .. بس بشرط ..

إنهم يكونوا مع بعض لحظة ظهورك، لأن أى جعران منهم هايختفى معنـــاه أن قوتـــك هاتضعف ومش هاتقـــدرى تنتقمى مـــن كل اللى ظلموكى .. وكل جعران هاتاخديه أنا هآخد روح فيه قصاد ظهورك ..

- وأنا موافقة !

الرجل:

- إنت قطعت عهد، ومايخون العهـــد إلا الخاين .. روحك هاتفضل أمانة عنـــد حارس الخزانة لغاية ما الهلال يبقى بدر فى ليلة صيف ترجعى لمدة خمس ليالى تحققى فيها انتقامك وتســـتردى روحك قبل ماتزولى للأبد..

المرأة:

- أنا مســـتعدة لأى حاجة تقولها .. مقابـــل إنى انتقم من كل اللى ظلمونى ..

أنتقم وبس ..

نظر لها الرجل لحظة ثم أمســـك بكفها ومرر عليه نصل الســـكين الحاد فســـالت قطرات دمائها فـــوق النار فانطفأت ..

- لحظة ما ينتهى أجلك، هاتبدأ عقارب الساعة فى الدوران وهاتشوفى كل حاجـــة كانت خافية عنك وهاتعرفى مين اللى ظلمك ومين اللى ســـاعده، علشان تقدرى تتحدى أعدائك وتقدرى تواجهى كل واحد بجرمه ..

صمت الشيخ.

انقشع الضباب تدريجيا ليرى الشيخ المرأة واقفة أمامه فى نفس البيت المهجور ممسكة بيده، لحظات ساد الصمت التام بينهما، ثم تركت المرأة يده فتنبه وانتفض مذهولا من هول مارأى وقد عقد لسانه فلم ينطق..

- ارجع ياشيخ ..

ارجع لدارك وودع أولادك .. اشبع منهم ..

معادنا بعد ليلتين من البدر الطالع..

الشيخ يحاول أن يلتقط أنفاسه :

- إنتى .. إنتى اللى قتلتى المقدرة وسرقتى الجعارين ؟!

المرأة ضاحكة :

- لأ اطمن، الجعارين عليها حارس فى خدمتى، أنا بس سرقتهم قبلما غيرى ياخدهم .. والمقدرة كانت ميتة لما الحارس وصل عندها .. أجلها ..

- أمال الجعران المحروق على إيديها .. مين اللى ؟!

- قلت لك ارجع ياشـــيخ .. المكتوب مكتوب وأنا ماعنديش إجابة لأى ســـؤال .. خلاص وقتـــك خلص .. إنت وكل أهـــل الواحة، إرجع واشبع منهم قبل ما يهلكوا..

- إنتِ ..

انتِ اتظلمتِ ..

وده حق .. لكن ليه مصرة تظلمى ؟! ليه حولك الشيطان لشيطانة ؟!

المرأة تضحك ضحكة شيطانية :

- علشان اعرف انتقم من شياطين الإنس ..

اختفت فجأة وانطفأت كل الشـــموع مـــرة واحدة وخيم الظلام على المنـــزل مرة أخري، فزع (نعمان) وأســـرع هاربا، فوجىء بضوء الشـــمس الســـاطع على وجهه فســـقط على الأرض ثم تحامل ليقف على قدميه الواهنتين وأســـرع عائدا ولم يفكر فى النظر خلفه..

***

(35)

فى الأسكندرية كان الشباب فى سيارتيهم على الكورنيش مستمتعين بجمال المنظر وهم يتلفتون هنا وهناك فى ذلك النهار الجميل ..

عند جدارية سيدى جابر أعطى (أحمد) إشارة انتظار وركن السيارة، فتبعه (كريم) بالسيارة الأخرى ليعرف ماذا يريد..

نزل (أحمد) من سيارته واقترب من (كريم) مبتسما :

- ما رأيكم بأن نبحث عن مكان نتناول فيه الغداء ؟

(كريم) :

- هل تعرف مطعما جيدا ؟

(أحمد) :

أخبرنى (أكرم) أنه يعرف مقهى قريبا من البحر وله أصدقاء هناك ..

(كريم) :

- ليس لدى مانع، لكن لن نقضى يومنا كله هناك .. نريد الاستمتاع بالبحر والسباحة ..

(أكرم) :

- المقهى به شاطىء خاص يمكننا قضاء اليوم به ..

(كريم) :

- رائع .. هيا بنا ..

عاد الجميع إلى سياراتهم، وانطلقوا إلى المقهى !

(36)

دقائق ووصل الأصدقاء إلى المقهى .. تقدم (أكرم) نحو شخص كان بانتظارهم مبتسما ..

مد (أكرم) يده مصافحا الرجل :

- أستاذ (حسين) كيف حالك ؟

(حسين) :

- (أكرم) ؟! لا أكاد أصدق عينى .. أخيرا قررت زيارتى ..

ثم لوح بيده محييا أصدقاءه :

- مرحبا بكم فى الإسكندرية ..

تابع (حسن) السير معهم جميعا إلى داخل المقهى ليجلسوا سويا على إحدى الطاولات ..

(عبد الرحمن) :

- ماذا ستقدمون لنا ؟فلم أعد أقاوم الجوع ..

(حسين) :

- ماذا تريد أن تأكل ؟ لدينا كل ما تشتهيه نفسك ..

(أكرم) مسرعا :

- أحضر لنا عددا كافيا من الشطائر ولا تسألنا مرة أخرى عما نحب أن نأكل !

المقدرة

انصرف (حســـين) مســـرعا نحو المطبخ لإحضار طلبـــات الاصدقاء، وفنجان القهوة الذى طلبه (آســـر) ..

دقائـــق وأصبحت طاولة الطعـــام جاهزة، والشـــطائر الفاخرة على المنضـــدة أمامهم ..

أمســـك (آسر) بفنجان القهوة وارتشـــف منه بعض الرشفات ثم قام ليتجول فى المكان حين اقترب من(حســـين) مبتسما :

- مكان رائع وتصميم متميز ..

(حسين) :

- شكرا لك، هذا المكان كان حلما يراودنى منذ التخرج من الجامعة.. أسعد دائما حين يبدى أحد إعجابه به ..

عاد (آسر) إلى المائدة ليجلس فى مكان يستطيع منه مشاهدة البحر .. دقق (آســـر) نظره نحو البحر وراح فى شرود أفاقه منه يد (عبد الرحمن) التى امتدت يده نحوه ممسكا بشطيرة :

- هذا آخر شيء ستتناوله !

- ابتسم (آسر) وتناولها من يده وبدأ فى التهامها ..

***

(37)

فى الواحة :

كان (الحاجى) وســـارة فى انتظار الشيخ (نعمان) عندما دخل الدار مسرعا ودفع الباب خلفه بقوة ليغلقه، بملابسه المتسخة والعرق يتصبب على وجهه ..

ما أن رأى (الحاجى) أمامه حتى شهق ..

قام (الحاجى) من مجلسه يحييه بابتسامة واسعة قائلا :

- شيخ (نعمان) .. والله منتظرك من حين .. كيف احوالك ؟

الشيخ يلتقط أنفاسه :

- إيه جابك لدارى يا (حاجى) ؟! بتسوى إيه فى الواحة ؟! مابيكفيك إللى صابنى ؟!

- إهدى ياشـــيخ، أنا هناعلشانك وعلشـــان إللى صايبك .. أنا مش جاى آذيك لاسمح الله، أنا جاى أســـاعدك..

الشيخ بانفعال :

- تساعدنى ؟! تساعدنى إزاى ؟! أنا مش محتاج مساعدتك..

- هـــو ده كرم أهل الواحة ياشـــيخ ؟! طيب اسمعنـــى الأول وبعدين احكم..

الشيخ يرتمى على مقعد :

- والله حالـه مش خير ولا البال رايق .. حقك على راســـى .. اتفضل يا أخى ارتاح..

- مالك يا شيخ ؟! انت راجع من برة معفر مغبر، إيه اللى حصلك ؟!

الشيخ يتنهد :

- والله من يوم ما ماتت (المقدرة) وأنا ما شفت نوم ولا راحة .. وأخدت القرار برد الأمانة واللى يحصل يحصل، لكن اللى شـــفته كان ظلم فوق الظلم وقهر فوق القهر وربنا نســـينا فى لحظة لما نسيناه سنين وضاع منا عمرنا وما حاولنا نتوب ..

- أوان التوبة جه يا شيخ وتقدر ترجع كل شىء زى ما كان وأحسن..

الشيخ بحزن :

- والله ماعاد ينفع بعد ما شـــفت وبعد ما وعيت، ما عاد ينفع توبة ولا عاد ينفع رد حقوق والله كل شـــىء راح واحنا كمان رحنا..

- بلاش التشـــاؤم ده ياشيخ .. أناعارف إن الساكت عن الحق شيطان أخرس وإنه مشـــارك فى الباطل، لكن هى أولـه تنتقم من اللى عمل فيها كدة بدل ماتـــدور عليك انت وعلى أهل الواحة الغلابة ..

يمكن أنتم كنتم أســـباب وما نصرتوش الحق، لكن ده عن جهل منكم ولسة الخير جواكم..

- والله رحت فى المسا، وقلت أردلها الآذان إذا كانت موجودة وإن ما كانت موجودة كنت ناوى أســـيبه فى مكانه السابق لحد ماتشوفه لما تعود، لكن والله اللى صابنى نسانى كل شىء، حتى إنى أقولها إن ولدها ما مات، زى ماعدوك قاللها لأجل ما ياخد روحها ويحولها لشيطانة ..

- أنت شفتها ياشيخ ؟! اتكلمت معاها ؟! عرفت هى ناوية على إيه ؟!

- أه والله .. شفتها .. ويارتنى ماشفت، مسكت فى يدى وفجأة لقيتنى

بعيـــش كل اللى جرالها وكأنه جرالى أنا .. ولما فقت رجعت كيف المجنون علشان الحق ولد الواحة قبل ماتيجى وتاخد أرواحهم ..

- فين الودعات يا شيخ ؟!
- اختفـــوا لحظة ما المقدرة ماتت، دخلت الدار لكن ما لقيت إلا التراب والجعران المحروق على إيدها ومسبحتها مفصوصة على الأرض..
- كده تبقى (هند) أخدتهم علشـــان تظهر و أكيد هى موجودة بيننا دلوقت !
- والعمل ؟! إزاى هانصد اللى جاى ؟
- إتطمن، هى معاها تلات ودعات بس وده معناه إنها مش هاتقدر تنتقم إلا من تلات أشخاص بس..

فى تلك اللحظة خرجت (سارة) من حجرة الشيخ وابتسمت له وهى تتقدم نحوه بهدوء .. فقام مذعورا منتفضا وتراجع للوراء وهو يصرخ فيها :

- لأ .. لأ .. ارحلى .. ارحلى .. إيه جابك لدارى ؟! إرحلى .. روحى انتقمى من اللى ظلمك، والله ما ظلمناكى .. عودى ..
- إهدى ياشـــيخ (نعمان)، إهدى .. دى (ســـارة) مش (هند) وهى جاية معايا علشان نساعدك !

الشيخ صارخا :

- لا والله، دى نفس الخلقة اللى شـــفتها هناك فى الخلا، لكن كانت لابســـة السواد، كانت بتضحك كيف الشياطين ..
- إهدى بس وتعالى دقق بنفســـك، دى أختها التوأم (سارة) وهى جاية علش انت حاولت وقف أختها (هند) عن انتقامها لأن (هند) فاكرة أن ابنها اتقتل وعارفـــة أن (جلال) خلف بنت من مراته التانية وهى ماتعرفش أن بنت (جلال) دى تبقى بنتها..

- وازاى بنعرفها وهى ناوية على الانتقام الليلة ؟! وماندرى مين عليها لدور، وماندرى فين هايكون ..

- ما تنساش أن (ســـارة) أختها، يعنى تعرف عنها اللى احنا مانعرفه، وماتنســـاش كمان أن خمسين سنة شـــافت (هند) فيها كل الناس اللى ظلموها وعرفت أســـرارهم وده شىء مشترك بينها وبين (سارة) وماتقدرش تخفيه عنها وخصوصا أن ســـارة معاهـــا قوةجعران من الخمسة ..

- وهى معاها قوة أربع جعارين..

- لأ .. غلط ياشـــيخ .. هى معاها قوة تـــلات جعارين بس، الجعران الرابع المقدرة بعتت قوته للسلســـلة اللى مع الولد بمصر، كل اللى مطلوب منه إنه يلبســـها وهى مش هاتقدر تأذيه..

- يا (حاجـــى) .. إزاى هنتصرف ؟! إيش بتريده منى ؟! أنا جاهز بأى شيء ..

- تحـــط إيدك فى إيدينا والآذان اللى عندك تجهزه وبإذن الله نلحقها قبل ما تنتقم من أى حد..

- والله لو انتقمت من كل الناس، مافى شىء يقدر يبرد نارها، الظلم اللى وقع عليها شديد أنا شفته .. وأنا الرجل ما أتحمله..

- إحنا يا شيخ مش عاوزين نظلمها تانى، إحنا عاوزينها تعرف الحقيقة ونرد لها حقها اللى ضاع، عاوزينها تشوف ضناها اللى انحرمت منه كل السنين دى وتاخده فى حضنها، هوده بس اللى هايطفى النار اللى جواها..

(سارة) :

- أنا عارفة أختى كويس وعارفة هـــى بتفكر فى إيه وناوية تعمل إيه وأنا مش هاســـيبها تدمر أى حد ولاتدمر نفسها..

***

(38)

فـــى إحدى المستشـــفيات كان هناك كهل نائم فى فراشـــه المتصل بأجهزة كثـــيرة من حوله وهو فى حالة ســـكون، كانت تجلس بجواره إحدى الممرضات تتابع حالته عندما دخلت امرأة فى العقد الســـادس من عمرها وهى تدفع الباب وتدخـــل ببطء متكئة على عصاها، فنظرت لها الممرضة لحظة ثم ســـألتها بهمس :

- من أنتِ ؟
- أنـــا أخت المهندس (إيهاب)، جئت من ســـفر خارج مصر صباحا بعد علمى بدخوله المستشـــفى لأطمئن عليه.
- لكن حالة المريض لا تسمح بالزيارة ..
- لن أحدث ضوضاء .. عشر دقائق فقط أطمئن عليه وأنصرف ..
- لا بأس .. لكن لا يجب أن تطول المدة عن ذلك ..

اقتربت الســـيدة من الفراش ونظرت له وابتســـمت ثم رفعت رأســـها للممرضة :

- هل يمكننى أن اطلب منك كوبا من الماء ؟ لقد حان موعد أقراص علاج ضغط الدم ..

ترددت الممرضة للحظة ثم قامت وخرجت من الحجرة وأغلقت الباب خلفها، وهناانتصبت المرأة فجأة، وزال انحناء ظهرها وابتســـمت ابتسامة شيطانية وهى توقظ المريض بعنف حتى انتفض متخاذلا وفتح عينيه..

- (إيهاب) .. كيف حالك ؟ هرمت وأصبحت طريح الفراش .. هكذا هـــى الدنيا تفعل بنا العجائب ! انظـــر إلى وجهك بعد أن أصابك الشيب ولا تقوى على الحركة .. جلطة فى المخ وشلل نصفي؟ كم تمنيت أن أراك هكذا ..
- من أنتِ ؟! وكيف دخلتِ إلى هنا ؟!
- ستعرفنى حالا، فأنا أعرفك منذ سبعة وخمسين عاما ...
- ماذا تريدين منى ؟! أنا لا أعرفك !
- أنا (هند) .. (هند) يا (إيهاب) ..

قالتها ثم رفعت عن وجهها ذلك الغطاء التى أخفت به وجهها ليراها فى أوج شبابها وجمالها ثم استطردت :

- أظنـــك الآن تذكرتنى .. أنا زوجتـــك التى طلقتها وهى طريحة فراش مثلك .. أنا (هند) التى قضيت على شـــبابها وعمرها فى عز ضعفها ...
- أما زلتى على قيد الحياة يا (هند) ؟! ما الذى ذكرك بى الآن ؟!
- لم أنسك يوما، وعدت إليك اليوم لأهداف ثلاث :

أولهـــا : أن أراك هكذا طريحا فى فـــراش هرم لا تقوى على الحركة كى تتجرع نفس الـــكأس الذى تجرعته أنا قبلك ..

أمـــا ثانيها : جئت لأخبرك أن مـــا أخفيته عنى قد علمته وعلمت أن ابنى لم يمت وأنك عقد اتفاق مع الطبيب صديقك كى يخبرنى بموت وليـــدى وأنى لا يمكننى أن أنجب مرة أخرى كى تجد حجة تطلقنى بها وتستولى على شقتى وأموالى ..

شـــهق (إيهاب) من هول ما تقول وهو غير مصدق أنها تعلم كل هذا فقاطعها:

- ولماذا انتظرت كل هذه السنوات طالما كنت على علم بكل شيء ؟!
- لأنى كنت ميتة، لكنى عـــدت إلى الحياة مرة أخرى لأنتقم وأقتص لنفســـى من كل من خاننى وظلمنى وحرمنى من أبنائى ..
- أولادك ؟!
- لم تكن أنت الوحيد الذى ســـرق منى روحي، هناك غيرك، لكنى أتيت اليوم لأطفىء ما أشعلتموه من نيران بقلبى وروحى ..
- وهل ترانى فى حالة تسمح لك بالانتقام منى ؟! أنا بالفعل ميت .. ولو تقلتينى ستريحينى من العذاب الذى أعيشه ..
- ومن قال أنى سأقتلك ؟! سآخذك معى كى تتمنى الموت ..

ولن تموت ..

رفعت كفيها للأعلى فأضاء شعاع كالبرق أضاء الحجرة وسرعان ما اختفى وأصبحت الغرفة خاوية تماما فى نفس اللحظة التى دخلت فيها الممرضة بكوب الماء .. عندما رأت الفراش فارغا شهقت وسقط الكوب من يدها على الأرض ..

***

(39)

استرخى الأصدقاءعلى الشاطىء الخاص بالمقهى أسفل المظلة الكبيرة يراقبون الشمس باستمتاع وهى تقترب من خط نهاية البحر لتحتضنه ..

(سلمي) :

- مشهد رائع، هل الحياة بهذا الجمال ؟! كم نحن محرومون من ذلك الجمال ..

قالتها ثم التفتت نحو (ريم) واستطردت :

- كانت فكرة رائعة يا ريم ..

(ريم) :

- لم اقترح المجيء إلى الاسكندرية، كان اقتراحى بشأن الساحل الشمالى لقد خططت لقضاء الأسبوع كاملا بالقرية السياحية هناك ..

- لماذا نبرة الغضب هذه ؟!

- لقد رتبت كل شيء من أجل قضاء الأسبوع بالقرية لكن لا يجب أن أخالف رأيكم فى أى شيء لذلك لم أمانع الذهاب معكم إلى المزرعة والأسكندرية ..

لاحظت (سلمي) فى كلمات (ريم) شيء من الحنق وأنها غير سعيدة، وأن هناك شيء أغضبها، فهى ليست على ما يرام منذ وصولهم إلى القرية

(سلمي) :

- ماذا بك ؟! هل حدث شيء أغضبك ؟! لست على ما يرام منذ بداية الرحلة ..

(ريم) :

- هل رأيت أن شيئا ما أغضبنى ؟!

- لو أعلم ماذا أغضبك لما سألتك ..

- ستعلمين كل شيء لكن تمهلى ولا تتعجلي، اخبرينى عن (آسر) وخططكم المستقبلية ..

- أى خطط تقصدين ؟!

- أقصد بعدما تصارحتما بمشاعركما تجاه بعض، ماذا ستفعلان بعدها ؟!

أجابتها (سلمي) وقد وصلت إلى حالة من الضيق :

- أمرك غريب، لماذا تعيرى هذا الموضوع اهتماما أكبر مما ينبغى ؟! لم نتحدث بخصوص شيء ولم نخطط لأى خطوات قادمة، ألا ترى ما هو فيه ؟ على الأقل يجب أن أنتظر حتى يتعافى مما حل به ويعود إلى طبيعته ..

- ماذا تقصدين بعودته إلى طبيعته ؟! كيف تتحدثين عن شخص تحبيه بهذه الطريقة ؟!

- هذا أمر يخصنى ولا أراه يهمك فى شيء ولا أريد أن أتحدث معك فيه ..

- حسنا، كما تشائين ولكن انتبهى إلى ذلك الكنز بين يديك ..

لم تعرها (سلمي) انتباها وأدارت وجهها فى اتجاه آخر لتنهى الحديث ..

***

(40)

بينما كان (آســـر) مســـترخيا بجوار أخته (منى) مغلقا عينيه كان ينصت للحديث الدائر بين (ســـلمى) و(ريم) ففتح عينيه وهم بالحديث معهما إلا أنه لم يجد أحدا منهما، بل لم يجد الشاطىء نفسه، فقد وجد نفســـه وسط فراغ كبير محاط بالدخان من كل اتجاه فانتفض وتلفت حوله ونادى :

- أين أنا ؟! أين أنتِ ؟!، أريد أن أراك .. لدى أسئلة كثيرة لا أجد لها أجوبه، أعلم أن إجابتها لديك ..

أين أنتِ ؟!

قابله الصمت للحظات ثم بدأ يتبـــين معالمها وهى تظهر له من بين الضباب مبتسمة، لكن

كان بها شيء مختلف فسألها :

- أين كنتِ ؟! انتظرتك كثيرا .. أريد أن أسالك عن ..

قاطعته المرأة :

- دون أن تســـأل سأجيبك على كل شـــيء، لكن يجب أن تأتى معى أولا ..

- إلى أين ؟!

- إلى مكان أستطيع أن أجيبك فيه عن أسئلتك كى تعى كل شيء؛ لا يمكننى البقاء هنا كثيرا .. وجودى هنا به خطر على حياتى ..

- أشـــعر أنك مختلفة عـــن كل مرة رأيتك بها قبـــل ذلك .. لماذا ترتدين تلك الملابس الســـوداء ؟

- هل سنضيع الوقت فى الحديث عن شكلى وملابسى ؟! لابد أن نبتعد عن هنا وتاتى معى حالا إذا كنت تريد إجابات على أســـئلتك وأن تعى كل شيء ..

- لا أريد أن أبتعد عن هنا ..

- قلت لك أن المكان هنا خطر، ألا تفهم ؟

فزع (آسر) وأجاب بخوف :

- أنتِ لست سارة، من أنت ؟!

ضحكت المرأة ضحكة مريبة :

- تريد أن تعرف من أنا ؟

سأخبرك حالا ..

قبضت على معصمه بقوة وســـحبته وراءها وهو لايستطيع المقاومة، يشـــعر بنار موقدة فى قبضتها تحرق يده فصرخ بها :

- اتركى يدى .. ابتعدى عنى .. يدى تحترق .. اتركينى ..

- لابد أن تعى وتعرف كل شيء، لن أتركك حتى وإن احترقت .. أنا من يحترق بسببك منذ سنين ..

تعالـــت صرخاته وهو يحاول مقاومة قبضتها على معصمه لكنها غير آبهة بصراخه واســـتمرت فى جره رغما عنه وتبتعد عن الضباب إلى ظلام شديد لايتخلله إلا ومضات ضوء سريعة !

***

(41)

فى جلسته على الشاطىء مغمض العينين فوجئت به (منى) ينتفض بشدة ففزعت ورأت علامات الألم ترتسم على وجهه فصرخت :

– (آسر) ماذا بك .. (آآآآآسر) ..

تنبهت (سلمى) و(ريم) إلى ما يحدث فأسرعت (سلمى) إليه محاولة إفاقته وهى تربت على وجهه بيديها محاولة إفاقته، إلا أنها فوجئت بصفعة قوية !

شهقت وفوجئت بالظلام يغلفها فجأة .. ثوان مرت عليها وهى فى قلب الظلام وقلبها يدق فى عنف.. ثوان مرت لتجد أن جفنيها مغلقان.. كيف ؟

فتحت عينيها بقوة لتجد تلك المرأة تسحبه من يديه بقوة وهو يتألم بشدة فصرخت من الفزع وأسرعت تعدو نحوه وتقبض على يده الأخرى وتجذبه بعيدا عنها وتصرخ بها ..

– اتركيه .. ماذا تريدين منه ؟! من أنتِ ؟!

(آسر) صارخا :

ساعدينى يا (سلمي)، انقذينى ..

جذبته (سلمى) بكل قوتها، ومع مقاومته نجح فى الإفلات من قبضة المرأة التى صرخت بهما فى شراسة أفزعتهما، فأسرعا يجريان فى الظلام هربا منها إلا أنهما سمعا ضحكتها الشيطانية مدوية وصوتها كالرعد يصم آذانهما :

– لن تستطيع الهروب مني، أنت ملك لى أنا ولابد أن تعود ..

لابد أن تعود ..

لن تفلت منى يا ابن (إيهاب) ..

واصـــلا جريهما فى الظلام حتى وجدا أمامهما ضوءا باهرا أغشـــى عينيهما، فشهقا وهما يغلقان أعينهما بقوة، وسرعان ما استطاعا الابصار ليجدا أمامهما امرأة تتشح بالبياض !

صرخت (ســـلمى) مرتعبة وأسرعت بالاحتماء خلف (آسر) الذى - ما أن رآها - حتى صرخ بها :

- ماذا يحدث ؟! من هذه ؟! وماذا تريد منى وأين كنت ؟!

(سارة) بقلق :

- لا تخف .. حاول أن تهدأ واستمع لما سأقوله جيدا .. لابد أن ترتدى السلسة .. علقها فى عنقك ولا تتركها مهما حدث ..

- أى سلسلة ؟! لم أعد أعى شيئا مما يحدث ! حتما سأصاب بالجنون.. هذه المرأة تشبهك تماما، اعتقدت أنها أنت .. من هذه ؟!

- للأسف .. إنها أختى .. وهى الشر الذى يطاردك!

ولن تهـــدأ إلا بعد أن تنتقم ممن ظلمها .. كان ظهورى لحمايتك منها ومن شرها ..

(سلمي) :

- هل هذه هى المرأة التى كنت تراها ؟!

(آسر) وقد تنبه لوجودها :

- نعم هى ..

ثم أعاد النظر نحو (سارة) :

- كيف جاءت (سلمي) إلى هنا وكيف رأتك ؟

(سارة) :

- (سلمي) جزء من الانتقام .. هى هنا لأن قوة أختى تفوقنى كثيرا.. حين لمستك (ســـلمي) اجتذبتها معك فى دوامتها، للأسف ستكون (ســـلمي) فى خطر مثلـــك تماما، المهم الآن أنـــك لابد أن ترتدى

السلسة، لأن قوتى ستكون أضعف منها فى غياب السلسة، ويمكنها أن تتمكن من إيذائك ..

لم تتمالك (سلمي) بكاءها :

- (آسر)، أنا لا أفهم شيئا مما يحدث، أريد أن أرحل من هنا ..

(سارة) :

- لا تخافى يا (سلمي)، سأعيدكما إلى حيث أتيتما، لكن لا تخبرى أحدا عما رأيت كى يتأذى احد

(سلمي) :

- حسنا .. لكن أرجوك أعيدينا إلى حيث أتينا ..

رفعت (سارة) ذراعيها للأعلى فاختفى الظلام وعاد (آسر) و(سلمى) إلى وعيهما .

شهقت (سلمى) وشهق (آسر)، وفتحا عينيهما على اتساعهما ونظرا حولهما فوجدا كل الأصدقاء يحيطون بهما بقلق بالغ، وكانت (منى) تبكى بشدة عندما تعلقت فى رقبته..

(مني):

- الحمد لله على إفاقتك .. ماذا حدث يا حبيبى ؟!

(كريم) :

- (سلمي)، هل أنتِ بخير ؟ ماذا حدث لك ؟! أصابك الإغماء حين لامست يداك وجهَ (آسر) ولم نستطع إفاقتكما !

(ريم) بقلق :

- المهم أنهما استفاقا .. أعتقد أننا يجب أن نرحل من هنا ونعود إلى الساحل .. أعتقد أن قدومنا إلى الإسكندرية كان خطأ !

نظر(آسر) لأصدقائه ثم نظر لـ(سلمى) التى كانت علامات الفزع مرسومة على وجهها، وأومأ برأسه لهم بصمت ..

***

(42)

فى الواحة كان الشـــيخ (نعمان) و(الحاجى) فى انتظار (سارة) التى اختفت فجأة ..

(الحاجى) قلقا:

- ربنايســـتر، الموضوع دخل فى الجد والخطر بيزيد وإحنا لســـه مش قادرين نعمل حاجة .. والعمل ياشـــيخ ؟!

الشيخ مفزوعا :

- والله المكتوب مقدر وما نقدر نهرب منه !
- الآذان معاك يا شيخ ؟
- موجود يا ولدى .. لكن إيه هايفيد وجوده والودعات خافيه ؟!
- لما (سارة) تيجى بالخبر هأقولك هايفيد فى إيه.

ظهرت (ســـارة) على باب الدار مترية مجهدة وارتمت تلتقط أنفاسها، فسألها (الحاجى) بلهفة :

- خيرياســـارة .. إيه اللى حصـــل ؟! رحلتى فجأة بدون كلمة .. هى ظهرت ؟!

(سارة):

- أيوة ظهرت للولد وسحبت بقوتها البنت معاه !

الشيخ منتفضا :

- والله ضاعوا .. الولد والبنية هايدفعوا تمن مالهم فيه ذنب !

(الحاجى) :

- المهم ياسارة، إيه اللى حصل لهم ؟

- خيرياحاجى، أنا قدرت أساعدهم ورجعتهم تانى وأكدت على الولد إنه يلبس السلسلة علشان يحمى نفسه من ظهورها وتساعدنى قوتها إنى أقف قصادها..

- وهى مافيش أخبار عنها ؟

- مشـــيت وراها لقيتها رجعت لنفـــس المكان، لكـــن كان معاها أول ضحيـــة.. هاتنتقـــم منها الليلة أو لمـــا البدر يطلع !

(الحاجى) قلقا :

- ده ما عاد فيه وقت .. إحنا لازم نتصرف وننقذه منها بأى شكل..

- لأ ! لأيا (حاجى) بلاش !

(الحاجى) مستنكرا :

- لأ ؟! بتقولـ لأيا(سارة) ؟ إزاى؟!

(سارة) بخجل :

- أناآسفة سامحنى أنا ما أقدرش أعارضك لكن الضحية ماتستاهلش الإنقاذ وكمان لو مات قوتها هاتقل وساعتها هانقدر نسيطر عليها..

(الحاجى) غاضبا:

- مش علشـــان نسيطر عليها نســـيبها تضيع روح بريئة لمجرد الانتقام الشـــيطانى اللى هى ناوياه يا (ســـارة) .. فيه عدل ورحمة !

(سارة) بهدوء :

- أولا : هو ميت لأن المرض بيقتله، ثانيا : العدل والرحمة بيقولوا إنها لازم تنتقم منه هو بالذات، لأنه كان السبب فى كل اللى حصلها.. والعـــدل والرحمة كمان بيقولوا إنها لازم تطفى جزء من النار اللى جواها علشان تقدر تغفر وتسامح .

(الحاجى) :

- أنا مش معاكى فى الكلام ده يا(سارة)، رغم أنه صح، لكن..

(سارة):

- أرجوك يا (حاجى)، سيبها الليلة دى مادام هاتكون بعيدة عن الأولاد اللى هم ســـبب ظهورنا واللى هم أهم إننا نحميهم أكتر من أى حد تانى !

الشيخ:

- والله (ســـارة) كلامها زين وصح الصح، هى بتتكلم كلام عقل لازم تســـيبوها الليلة، حتى نقدر نشوف بكرة هايحصل إيه .

(الحاجى) :

- خـــلاص، مادام ده رأيكم انتم الإتنين يبقـــى خلاص، لكن أنا هخلى الرجال يراقبوهـــا كويس فى نفس الوقت اللى إحنا هانتحرك فيه علشـــان نحمى الأولاد وربنا يستر من بكرة واللى جاى معاه!

***

(44)

غربت الشمس وشارفت على الاختفاء وبدأت النجوم تظهر فى السماء، رفعت (هند) وجهها للسماء ونظرت للنجمة الساطعة وابتسمت ابتسامة وحشـــية ثم اتجهت بهدوء لتدخل البيت الذى زارها فيه الشيخ (نعمان) واختفت فى الظلام ..

فى نفس الحجرة التى احتجزها فيها (جلال) كان (إيهاب) يقبع فى إحدى زواياها مكوما على نفسه متهالكا ..

نظرت له بشماتة منتشية وقالت بصوت كالفحيح :

- ما رأيك فى المنزل الجميل ؟ أظنه حاز على إعجابك .

- ماذا تريدين يا (هند)؟!

تنتقمى ؟

ماذا بعد الانتقام ؟

هل تعتقدين أن انتقامك منى سيريحك ؟

ستظلين هكذا تتعذبين وتتألمين ولن يشفى جرحك ما حييتى ..

- جرحى .. عذابى .. هذه الكلمات يمكن أن يتألم من سماعها إنسان حى لديه قلـــب ينبض، أما عنى فقد فقدت روحـــى منذ زمن بعيد وفقدت قلبى منذ تجرعت مرارة الخيانة والحرمان .. لم أعد أشـــعر بشيء ..

- لماذا عدتى ؟

تبحثين عن ابنك ؟

لقد مات منذ عام، وما حل بى كان حزنا على فراقه ..

- أنت تعانى من فراقه لعام واحد، لكنه ظل بجوارك خمسين عاما ..

كبر أمام عينيك ..

داعبته ..

علمته ..

ربيته ..

زوجته ..

رأيت أبناءه ..

أما أنا فقد حرمت منه ..

كان يمكنك أن تتركـــه لى وتتزوج بأخري، لكنـــك قررت مذلتى وحرمتنى مـــن حلم الأمومة ..

دمرتنى حتى تزوجت من (جلال) وحملت منه !

- أنجبتى من رجل آخر ؟! لماذا تريدين الانتقام منى أنا !

- اخرس ...

- لا تعتقدى أنى خائف منك أو أنى أخشى الموت .. لابد أن تعلمى أن ما حل بك لم أكن أنا سببا فيه ..

- من قال أن ما حل بى كان بسببك أنت فقط ؟

لقد علمت بكل فعلت بى بعد موتى .. رغم أنى مت كى أعود وأنتقم منه ..

لقد بعت روحى للشـــيطان كى أنتقم منه، لكنى علمت أيضا بكل ما أخفيته أنت عنى من حقيقتك القذرة ..

سأريك ما حل بى بسببك كى تعى أنى محقة فى انتقامى منك .

أشـــارت نحوه فأضاء المكان بضوء شديد وبدأ (إيهاب) ينتفض ويغلق عينيـــه بألم ويئن حتـــى اختفى الضوء ففتح عينيـــه بصعوبة ونظر لها مرتجفا :

- جميعنا ظلمك يا (هند) .. أنا معترف بذنبى .. حرمناك من حلم الأمومة .. كلنا كنا ظالمين أوغاد !
- انهض يا (إيهاب) .. قف على قدميك !
- كيف لى أن اقف وأنا مشلول ؟!
- لست مشلولا، تستطيع الوقوف !
- هل تسخرين منى ؟

قالها (إيهاب) لكنه شعر بأقدامه تتحرر ويستطيع تحريكهما !

- هل أنتِ من فعل هذا ؟!
- كى تعى أنى لست ظالمة .. هيا انهض ..

فقام (إيهاب) مستندا بيديه حتى وقف أمامها .. ابتسم ونظر لها غير مصدق وسألها :

- لماذا فعلتِ ذلك رغم ما فعلته بك ؟!
- سوف تعرف الآن لماذا فعلت ذلك ..

أشـــارت بيدها فأضاءت الحجرة .. فنظر لها (إيهاب) متعجبا إلا أنها أشـــارت نحوه فوجد نفســـه يندفع بقوة خفية ليلتصق بالحائط وذراعاه مفرودتان بجواره يقيدهما قيد خفى !

(هند) :

- تحلى بالهدوء يا عزيزى .. منذ قليل كنت تقول أنك لا تخشـــانى

ولا تخشـــى الموت، الآن أنت ملكى ولا تملك من أمرك شـــيئا، لقد أعدت إليك قدميك كى تشعر كل شعرة فى جسدك بما سأفعله بك !

صرخ (إيهاب) من هول ما سمعه ومما رأى على وجهها :

- أنت شيطانة .. تمنحينى الأمل كى تنتزعيه ؟

- لا بد أن تعطى قبل ان تأخذ، لكنك أخذت فقط ..

قطع حديثها معه دخول الرجل بشع الخلقة على باب الحجرة سائلا :

- هل أنتِ جاهزة ؟!

(هند) :

نعم .. أنا مســـتعدة وهو أيضا جاهز .. سأستبدله بجعران مقابل أن تحقق لى انتقامى ..

اقترب ذلك المخلوق الرهيب من (إيهاب) يحمل ســـكينا مع صرخات (إيهـــاب) الذى أصبح يرى الموت بعينيه :

- ابتعد عنى .. لا أريد ان أموت .. ابتعد عنى ..

تعالت ضحكات (هند) التى تتابع ما يحدث باستمتاع عندما أمسك الرجل بكف (إيهاب) وهويصرخ وشق كفه بالسكين ليسيل دمه، وهى ترى الفزع والألم فى كل خلجة من خلجات وجهه ..

- لن تمت يا عزيزى ..

صدقنى ستتمنى الموت ولن تراه ..

لقد أهديت روحا للشـــيطان وقايضتها بروحـــي، كى تظل روحك عالقة فـــى الجحيم إلى الأبد ..

***

(44)

فـــى القرية كان الأصدقاء فـــى حالة صمت مريبة، حين جلســـت (ســـلمى) فى حجرتها مع (ريم) مســـترخية فى فراشها مغمضة عينيها، بينماكان(آسر)مع (منى) التى كانت تحاول أن تفهم أى شيء مما حدث لكن دون جدوى ..

صمت (آسر) المريب وتكتمه أصاباها بحالة هستيرية من الغضب ..

- ومـــاذا بعد الصمت و بعد مـــا يحدث لك ؟! لم أعد أســـتوعب ما يحـــدث.. لم أعد أتحمـــل .. وماذا حدث لـــ(ســـلمي) اليوم ؟! هل ســـتصيبنا جميعا تلك اللعنة ؟

انتبه إلى ما أقوله وأجبنى ..

- أنا نفسى لا أدرى عما يحدث شيئا .. أنا متعب مما يحدث، لكن كل ذلك يحدث رغما عني، ولا أستطيع أن أخبرك بشيء ..

- كيـــف لا يمكنـــك أن تخبرنى ؟! لابد أن أعرف كل شـــيء .. أنا أختك، وما يحدث ليـــس مرضا ولا أمرا عابرا، أرحنى وأخبرنى بما يحدث ..

- سأخبرك بكل شيء فى الوقت المناسب ..

- متى ؟ وعن أى وقت تتحدث !

- اهدأى ولا تســـألينى مرة أخرى .. قلت لكِ أنا نفسى لا أفهم شيئا، وقلت سأخبرك فى الوقت المناسب !

أنهى كلماته بعصبية ثم اندفع خارجا من الغرفة، فنظر له أصدقاؤه إلا أنـــه لم يتوقف بـــل فتح باب الفيلا وتابع خطواته خارجا .. فآســـرع (كريم) خلفه يناديه :

– ماذا هناك يا (آسر) ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟ انتظرنى ..

لم يلتفت له (آســـر) وأكمل ســـيره وهو يكاد يركض حتى وصل إلى شـــاطىء البحر فجلس على الرمال باكيا .. بعد لحظات وجد (سارة) جالســـة بجواره تربت على كتفه وتبتسم له قائلة :

– ماذا بك ؟ لماذا أنت متعب إلى هذا الحد ؟

اعتدل (آسر) وهم واقفا وهو ينظر لها ودموعه منهمرة على وجهه :

– لماذا أنا ؟!

لماذا اخترتنى أنا ؟!

– اخترتك كى أساعدك .. لأنك بحاجة إلى المساعدة !

– أى مساعدة ؟ منذ رأيتك واقتحمت حياتى وأنا فقد صوابى وتدمرت حياتى .. لا أريد مساعدتك .. ابتعدى عنى لا أريد أن أراكِ ..

– سترانى .. ليس برضاك .. هل ترانى اقتحمت حياتك لأقضى وقت فراغ؟

لماذا لا تريد أن تستوعب أن حياتك وحياة أختك فى خطر ؟

– وكيف أفهم أو أستوعب وكل حديثك لى ما هو إلا ألغاز؟

حتى تلك الحقيبة وما بها من أوراق كلها ألغاز ..

أوراق لأناس لا أعرفهم ..

رسائل لا أعرف لها مغزى ولا هدف ..

وتلك السلسة التى تنير وتنطفىء من تلقاء نفسها ..

و(سلمي) التى أصبحت فى خطر أيضا بسببى !

- تحلى بالهدوء كى تفهم .. ليس لدينا وقت لإضاعته !
- إذا كانت حياتى بخطر أنا وأختى كما قلتي، فما شأن (سلمي) بما يحدث ؟
- كل شيء بحياتك مرتبط بك .. حتى أنا جزء من حياتك أيضا ..

قدرك أن تحيا كل ذلك سواء قبلته أم لم تقبله .. عندما يكون من حولك مهتمين بأمرك و يظهرون فى حياتك من أجل حمايتك يجب ن تدرك أن الأمر خطير ولا يوجد لدينا وقت لإضاعته كما أخبرتك ..

- ما زلتِ تتحدثين بألغاز !

أى خطر يحيط بى ؟!

ومن أختك هذه التى ظهرت لى ؟

وكيف تساعدينى وأختك هى الشر ؟!

- لا يمكننى أن أجيبك قبل نهاية ليلة الغد، فمع بداية الفجر الجديد ستبحث هى عنك وتخبرك بكل شيء ..
- سأعود إلى القاهرة حالا .. لن أكمل شيئا؛ لم أعد أحتمل !
- لن تستطيع السفر؛ لأنى لن أتركك منذ هذه اللحظة .. وأنت أيضا لن تبتعد عني؛ لأن الوقت قد أوشك على الانتهاء ولابد أن أعتنى بك ..
- لم أعد أحتمل البقاء هنا .. اتركينى أعود إلى القاهرة ..
- لن يأتى الحديث معك بفائدة .. أنت غير مدرك للمسئولية !

سوف أريك كيف أن حياتك فى خطر، وماذا يعنى أن تبقى على قيد الحياة ..

- ماذا ستفعلين أكثر مما فعلتى ؟!

- سوف ترى .. هيا ..

- إلى أين؟!

قالها وانفجر بالبكاء ..

- لابد أن تعـــرف أنى بحاجة إليك كما أنك بحاجة إلى .. لا يجب أن تكون ضعيفا ..

تعال معى كى ترى وتفهم كل شيء وبعدها ..

بعدها أنت صاحب القرار ! ومهما كان قرارك لن أمانعك ..

أمسكت يده وتحول المكان حولهما إلى ضباب وخفتت الأضواء تدريجيا حتى اختفيا تماما !

***

(45)

فى الفيلا انتفضت (سلمى) فجأة جالسة، فالتفتت لها (ريم) وسألتها :

- ماذا بك يا (سلمي) ؟

- أين (آسر) ؟

- يبدو أنه نائم ..

قامت (سلمى) من فراشها وأسرعت إلى حجرة (آسر) و(منى) تتابعها (ريم) ..

دقت (سلمى) باب الحجرة وانتظرت قليلا لتفتح لها (منى) باكية.. سألتها بقلق :

- ماذا بك يا منى ؟ أين (آسر) ؟ هل أغمى عليه مرة أخرى ؟!

- (آسر) ترك الفيلا بعدما صرخ فى ولا أعرف إلى أين ذهب !

تركتها (سلمي) وانطلقت نحو بهو الفيلا لتجد الأصدقاء مجتمعين فى جو يسوده الصمت لتقطع صمتهم بالتساؤل عن (آسر) ..

ليجيبها (كريم) بأن (آسر) ترك الفيلا ولم يعير نداءه اهتماما واتجه نحو البحر !

(أحمد) :

- أعتقد أنه متعب مما حدث اليوم ويحتاج إلى الجلوس بمفرده لبعض الوقت ..

(عبد الرحمن) :

- أرى أن نتركـــه وحيدا لبعض الوقت .. هو يشـــعر أننا نراقبه وهذا إحساس سيء حقا ..

(سلمي) :

- لكننى قلقه عليه ..

(ريم) :

- ماذا هناك يا (سلمي) ؟! أعتقد أنك تخفين شيئا عنا !

(مني) :

- أخبرينى يا (سلمي)، هل لديك إجابة عما يحدث لـــ(آسر) ؟!

نظـــرت (ســـلمى) لهم بحيرة تريـــد أن تخبرهم بمـــا رأت إلا أنها لم تســـتطع.. تريد أن تحكى ولكن الصراع داخلها يشتد .. القلق والخوف يســـيطران عليها بالكامل ..

وبينما الأصدقاء غارقون فى قلقهم لم تستطع السيطرة على مشاعرها أكثر فانطلقت فى بكاءهستيرى ليلتفواحولها..

تركت مكانها وســـطهم مندفعة نحو باب الفيلا ليستوقفها (أحمد) متســـائلا عن وجهتها؛ لتجيبه بأنها ستخرج للبحث عن (آسر) ولن تعود إلا به ..

قال لها فى لهجة حازمة :

- انتظرى لنذهب جميعا معك ..

***

(46)

فى الواحة بينما (الحاجى) والشـــيخ مســـترخيان امام النار المشتعلة على براد الشاى ظهر أحد رجال الحاجى فجأة أمامهما .. فانتفضا من مكانيهما وسأله (الحاجى) :

- خير ؟ إيه اللى جابك دلوقت ؟! حصل حاجة ؟!

الرجل باضطراب :

- ليه يا (حاجى) مش بتتدخل فى إللى بيحصل ؟! ليه ســـايبها تعمل فى الضحية اللى هى عاوزاه ؟! إحنا مش كنا مرتبين ننقذ الضحايا كلهم ونحاول نضيع عليها فرصة الانتقام ؟!

(الحاجى) :

- أقعد يا بنى واهدى .. خد نفسك الأول وأنا ها أفهمك ..

جلس الرجل منتظرا التفسير فأكمل (الحاجى) :

- إحنا رتبنا إننا نسيبها تحقق أول انتقام لها علشان أكتر من سبب ..

(الرجل) مستنكرا :

- هاتسيبها تقتل ضحية ملهاش ذنب ؟!

(الحاجى) :

- مافيـــش حاجة بتحصل لعبد من عباد الله إلا من عمل أيده، مافيش حد مظلوم، إحنا نفســـنا شاركنا فى الظلم وكل اللى نقدر نعمله دلوقت إننا نحاول نرفع الظلم ده على قدر ما نقدر..

(الرجل) :

- وإيه الحكمة من إنك هاتسيبها تنتقم ؟! مش هوده اللى إحنا ظهرنا علشان نمنعه ؟!

(الحاجى) :

- لأن (سارة) قالت كلمة صح، هى نبهتنا لقوة (هند) اللى ظهرت بيها وقوتها دى مش هاتقل إلا لما تنتقم .. ولو منعناها هاتحول انتقامها على الولاد وهو دة الخطر الحقيقي..

الشيخ :

- بعد الليلة قوتها هاتقل ومش هاتقدر تضر الولاد الصغار .. وساعتها انتم و(الحاجى) و(سارة) هاتقدروا عليها ..

(الرجل):

- مع احترامى لكلامكم، لكن أنـــا كنت جاى أبلغك يا(حاجى) أنها مش ناوية تقتل ضحيتها، دى ناوية تقايضه مع الشيطان مقابل قوة فـــوق قوتها .. ودة معناه إنها بعد ما تنتقم من كل اللى هى راجعة علشـــانهم، قوتها هاتبقى أكبر بكتير من إننا نقدر نقف قصادها أو حتى نحمى الأولاد من شرها ..

برقت عينا (الحاجى) والشيخ من الفزع ليهم (الحاجى) واقفا ويهتف :

- قوم يا شـــيخ هات الآذان بســـرعة .. إحنا لازم نلحق (سارة) حالا .. الخطة دى لازم تفشل بأى شكل، قوم ياشيخ قبل ما يضيع كل اللى رتبنا له .. قوم..

وبينما أسرع الشيخ إلى داره لإحضار الآذان سأل (الحاجى) بقلق :

- فين (سارة) دلوقت ؟!

المقدرة

(الرجل) بتردد :

- (سارة) .. (سارة) هناك ومعاها الولد ..

(الحاجى) بفزع :

- إيه ؟! هناك وكمان معاها الولد ؟!

وصرخ بالشيخ :

- ياشيخ الآذان بسرعة مافيش وقت .. استر يارب ..

جاء الشيخ مهرولا يتصبب عرقا وفى يده علبة صغيرة مغلقة أخذها (الحاجى) من يده وأمسك بـ(الرجل) وهو يخاطب الشيخ بانفعال شديد :

- اقفل دارك عليك ياشيخ وماتسمحش لأى حد بالدخول مهما حصل.. لازم ياخدوا الموافقة علشان يدخلولك .. يالا ياشيخ .. اخبر أهل الواحة كلهم أن يدخلوا دورهم ويقفلوها عليهم ..

ثم نظر لـ(الرجل) وسأله بقلق :

- جاهز ؟!

أومأ له برأسه فأكمل :

- توكلنا على الله ..

وتجمع الضباب حولهما حتى اختفيا داخله، بينما أسرع الشيخ لينبه أهل الواحة .

***

(47)

فى القرية كان الشباب قد انقسم إلى مجموعتين، اتجهت إحداهما إلى الشاطىء بينما اتجهت الأخرى إلى حمامات السباحة والكافيهات..

مع هدوء القرية كان واضحا للجميع عدم وجود (آسر) فى أى مكان فجلست (سلمى) على الرمال منهكة تنظر للبحر المظلم والحزن بادٍ عليها .. فنظر لها (أحمد) وسألها بهدوء :

- تعتقدين إلى أى مكان ذهب (آسر) ؟! لم نجده فى أى مكان بالقرية والسيارتان على حالهما لم يتحركا !
- لابد أنه ذهب معها ..
- مع من ؟!

استدركت (سلمي) خطأها :

- مع أفكاره التى ستصيبه بالجنون حتما ..
- لم أفهم .. ماذا تقصدين ؟! أى أفكار ذهب معها (آسر) ؟!
- تعرفون أنه ليس على ما يرام منذ فترة، والمرأة التى يراها فى خياله أيضا، لابد أنه فى مكان بعيد عن هنا يحلم أو يتخيل شيئا ما ..
- هناك سؤال يراودنى : ماذا حدث عندما لامست يدك وجه (آسر) .. لماذا أغمى عليك ؟! لقد كنتما تنتفضان بشكل غريب !

(سلمي) وقد بانت عليها أعراض التوتر :

- لا أذكر شـــيئا مما حـــدث .. لقد جئنا للبحث عن (آســـر) وليس للحديث عمـــا حدث لـ ..

قامت من مكانها وبدأت تســـير عندما أســـرع (عبدالرحمن) خلفها يناديها :

- انتظرى .. سوف نأتى معك ..

ســـرعان ما تبعها هـــو و(أحمد) يلحقانها، وســـاروا معا يبحثون عن (آسر).

***

(48)

انقشـــع الضباب الكثيف من حول (آســـر) و(ســـارة) لتظهر أمامهما الدائـــرة أمام المزرعة ولكن بصورة مختلفـــة، فلقد كانت دائرة من النار والدخـــان يتطاير هنا وهناك و(إيهاب)قابـــع فى منتصفها ..

كانت الموســـيقى تصـــدح بقوة وبصوت يصـــم الآذان بينما تتراقص (هنـــد) ومن حولها أربعـــة رجال يغلفهم الســـواد يتراقصون حولها ..

ارتعد (آســـر) من هول المشهد فأمسكت (سارة) بيده تهدئه .. فسألها بحيرة واضحة :

- من هؤلاء ؟! ماذا يحدث هنا ؟

لقد كنت فى هذا المكان منذ يومين، وكانت هذه الدائرة هنا، لكن ..

- كل شيء تم إحضاره لما تراه الآن، كل هذا تم الإعداد له ..

- وما شأنى بما يحدث؟ لماذا أتيتِ بى إلى هنا ؟!

- كى تعرف الحقيقة التى تسألنى عنها منذ ظهورى لك ..

- الحقيقة !

أعاد النظر نحو الحفل المقام داخل الدائرة بصمت ..

توقـــف الصخب فجأة وهـــدأ الدخان حول (هنـــد) وهى تقف بجوار (إيهاب) مبتسمة :

- لم تخبرنى عـــن رأيك فى الحفل الذى أعددته خصيصا من أجلك

..

- لقد جن عقلك .. ماذا ستستفيدين مما تفعلين ؟! لن تستطيعى إعادة الزمن ولن تعيدى ما فقدتيه منذ عقود .. ليس بمقدورك أن تتخذى مكان الرب !

- سوف أستعيد كل ما ضاع منى وأكثر ..

قطع الكائن المخيف الحديث موجها سؤاله نحو (هند) :

- هل أنت مستعدة ؟

- مثلما اتفقنا؛ سوف تأخذ روحه وتعيد إليّ جزءا من روحى التى عندك ..

- لم ولن أخلف وعدى معك ..

التفتت (هند) نحو (آسر) مبتسمة :

- يجب أن يعرف الابن الحقيقة أولا ..

(آسر) صارخا :

- ماذا يحدث ؟ لماذا تفعلين كل هذا ؟

(هند) :

- لابد أن أفعل ذلك؛ كى يعلم الجميع بالحقيقة .. لابد أن يعرف الجميع أى ظلم وأى عذاب عشته بسببهم ..

(آسر) :

- لماذا أنا بالذات ؟

- لأنك الوحيد الذى يهمنى أن يعرف الحقيقة ..

- أى حقيقة يجب أن أعرفها ؟

أشارت نحو شخص خلفه يبدو فاقدا للوعى أو للحياة وسألته :

- هل تعرف من هذا ؟

هذا هو سبب وجودك فى الدنيا، وهو نفسه سبب نهاية دنيتى ..

هذا هو من سرق منى ابنى وقال أنه مات، وأنى لن أستطيع الإنجاب ..

- لا أستطيع أن أفهم أى شيء ! ما شأنى أنا بما تقولين ؟
- شأنك ؟!

هذا الرجل هو أبو ابنى .. (طاهر إيهاب الشربيني) ..

- لقد عثرت على شهادة ميلاد تحمل هذا الاسم فى حقيبة والدى ..
- ألم تلاحظ شيئا عندما قرأت تاريخ الميلاد ؟
- كان نفس تاريخ ميلاد أبي، لكنه أمر عادى أن يحمل شخصان نفس تاريخ الميلاد ..
- لكن ما هو ليس بأمر عادى أن شهادة الميلاد هذه كانت شهادة ميلاد أبيك الحقيقية !
- كيف ذلك ؟

كيف ذلك وأبى اسمه (سليم عماد الدين غانم) وليس (طاهر إيهاب الشربيني) !

- العكس هو الصحيح .. الاسم الثانى هو اسم الطفل الذى ولد ميتا فى نفس اليوم واستبدلت شهادات الميلاد كى أصدق أن ابنى هو من مات ودفن .. أى أن هذا الرجل هو جدك ..

وأنا أمك !

- أمى ؟!
- لم أرَ ابنى ولم يرني؛ ولأنك أنت ابنه فانت بالنسبة لى .. ابنى ..

تلفت (آسر) حوله يبحث عن (سارة) فلم يجدها .. عاد ينظر لـــ(هند) قلقا :

- ماذا تريدين منى الآن ؟!

- لا تخف .. سأتركك للنهاية ..

مفاجأتى لك ستكون أكبر من مفاجأتى لجدك ..

- تريدين الانتقام منه ؟!

ستقتلينه ؟!

- حياته أهم من موته بكثير .. سأعيد إلى نفسى ما سرقه مني، وروحى التى خسرتها بسببه ..

عادت (سارة) فجأة بجوار (آسر) وأعطته القلادة فى يده وابتسمت فى صمت ثم نظرت لـــ(هند) :

- يكفى ما حدث .. ما تفعلينه لن يعيد شيئا مما مضى ..

- وهل تعلمين ماذا سأفعل ؟! نسيت أنك نصفى الصالح .. الطيب.. الخير !

تدخل الرجل المخيف مرة أخرى :

- يكفى ثرثرة .. لابد أن اعود قبل الفجر ..

التفتت (هند) للرجل باسمة ثم نظرت لـــ(إيهاب) شـــامتة فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (الحاجى) ومن حوله التف الرجال الثلاثه لحماية (آسر)و (سارة)، صرخ (الرجل الاول) عندما رأى الرجل الدميم بجوار (هند) :

- لابد أن نمنعها .. سأتدخل بنفسى لإيقاف ما يحدث .. لا يمكن أن نتركها تقتله .. لابد أن تفعل شيئا يا (حاجي) ..

(سارة) :

- لا تقلق يا (بني) .. ابقَ فى مكانك .. هى لن تســـتطيع تحقيق ما تريد ..

نظـــر لها الجميع بانتبـــاه فمدت يدها أمامهم القـــلادة ثم أعطتها

لـــ(آســـر) وهى تبتســـم؛ فنظر لها الجميع ثم نظروا لـــ(آسر) ولم يعلق أى منهم ..

فجـــأة ارتفعت النـــيران وزاد الضباب وخفتت الأضـــواء وبدأ الرجل الدميم فى ترديد بعض الكلمات الغير مفهومة وصرخ (إيهاب) وســـقط على ركبتيه وهو يغطى أذنيه بكفيه، بينما يزداد صراخه .. هنا صرخت (سارة) بـــ(آسر) :

– الآن يا (آسر) !

رفع (آسر) القلادة عاليا فى نفس اللحظة التى سقطت حزمة قوية من الضوء من الســـماء على كفى الرجل الدميم ووجه يديه نحو (هند) ..

أغلقت (هند) عينيها منتظرة أن يصطدم بها الشـــعاع، إلا أن الشعاع انحرف عن مســـاره ليخترق القلادة فأضاءت بضوء أغشى أبصار الجميع للحظات ..

فتحـــت (هند) عينيها لتجد القلادة مضاءة فى يد (آســـر) فصرخت صرخة تردد صداها فـــى الفراغ المحيط كله واختفـــى الرجل الدميم وســـقط (إيهاب) على الأرض ميتا !

تراجع (الحاجى) وســـارة بـــ(آســـر) بعيدا حتى اختفوا فى الضباب و(هند) تصرخ بوحشـــية وقد جلســـت على ركبتيها :

– لاااا .. هذه الروح لى .. إنها من حقى ..

لاا ..

انطفـــأت النـــيران وغادر الجميع المـــكان تاركين (هنـــد) غارقة فى صراخها، لتختفى هى الأخرى بعـــد لحظات ويخيم الصمت على المكان مرة أخرى ويخلوا من كل شيء ويسود الصمت والهدوء تماما على المكان بينما تهل بشـــائر الفجر على جثة (إيهاب) الهامدة ..

***

(49)

فى الواحة كان (آسر) يجلس بين (الحاجى) و(سارة) والرجال الثلاثة والشيخ يطالع وجههم وقد رسمت على وجهه ابتسامة فرح افتقدها منذ زمن طويل ..

الشيخ :

- والله قدرتوا عليها .. الله ينجينا من شرها ..

(الحاجى) ينظر لـــ(سارة) بفخر :

- أنتِ رائعة ياسارة .. رتبتِ كل شىء بصورة صحيحة..

(أحد الرجال) :

- كان ســـيصيبنا الجنون عندما عرفنا الاتفاق بينها وبين الملاعين .. اعتقدنا أن كل شىء انتهى !

(سارة) :

- لولا (آسر) كان معى لما استطعت فعل شىء !

(آسر) مندهشا :

- أنا ؟! أنا لم أفعل شيئا أكثر مما قلتِ لى عليه !

(سارة) مبتسمة :

- بظهورك كنت نقطة ضعف لها ..

(آسر) فى حيرة :

- نقطة ضعف ؟! كيف ذلك ؟

(سارة) :

- ما لا يعرفه أحد أن شـــرط ظهورها عدم ذكرها الحقيقة بلسانها، لكن تريها لمن تريد فقط .. هل تذكر عندما ظهرت لك وأمســـكت بمعصمك بقوة وأصـــرت أن تذهب معها ؟ وقتهـــا كانت تريد ان تريك الحقيقـــة كاملة من دون أن تتتكلم ..

(آسر):

- غريبة .. لماذا تكلمت إذن مادامت تعرف هذا الشرط ؟!

سارة:

- ربما لأن حفرة النـــار مع ظهورك كانـــا مفاجأتين غير متوقعتين بالنسبة لها .. وربما جعلاها تنسى - خاصة أنها فى أوج انتصارها- أن من المفـــترض بـــ(إيهاب) الاعتراف بالذنـــب وأن يقول الحقيقة كلها.. هى تعلم أن القوة تنتقل لمن تكلمه بلســـانها عن الحقيقة؛ لكنهـــا واثقة أنك لا تملك شـــيئا يمكن ان ينتقـــل إليه روحها .. ربمـــا ظنت أن القوة عائدة إليها لا محالة ولم يخطر فى بالها قط أن القلادة معك !

(الحاجى) مبتسما :

- فعلا يا(سارة) .. الكل يشهد لكِ بالذكاء ..

سارة :

- لا تنس أن (هند) جزء منى .. هذا يعنى أنى كان بإمكانى قراءة ما تفكر فيه، ومن حسن الحظ أنها كانت مشغولة بانتقامها عن قراءة أفكارى !

(الحاجى) :

- المهم أن الليلة مرت بسلام..

الشيخ :

- مـــش الواجب ترجعـــى الولد لأصحابه وأختـــه ؟ أكيد هم دلوقت

قلقانين عليه ..

التفت نحو (آسر) واستطرد :

- والله ياولدى لوكانت الواحة أمان كنت خليتك عندى للصبح .. لكن خوفى عليك هو اللى مخلينى أقول كده !

(الحاجى) لـــ(سارة) :

- عودى به إلى الفيلا يا(سارة) ..

والتفت إلى (آسر) قائلا :

- وأنـــت .. تلبس القلادو ولا تخلعها مهما حصل .. انتبه لنفســـك جيدا يا ولدى ..

(سارة) :

- هيـــا بنا يا(آســـر) .. أنت بالتأكيـــد تريد بعضا مـــن الراحة بعد ماحدث.. لكن ضع فى حسبانك أنى سآتى لاصطحابك مرة أخرى ليلا.. وســـنصطحب (سلمى) معنا !

(آسر):

- (سلمى) ؟! لماذا ؟!

(سارة) :

- ستفهم بالتأكيد لكن .. ليس الآن !

نظر لها فمدت له يدها وهى تبتســـم فأمسك بها وقام معها وتجمع الضبـــاب فاختفيا فيه، بعد لحظات وجد نفســـه أمام باب الفيلا .. فتح الباب بهـــدوء ودخل، لكنه لم يجد أصدقاءه بالداخل !

اتجـــه نحو غرفته وتأكد من وجود القلادة حول عنقه، ثم ارتمى فى فراشه وأظلمت الدنيا من حوله ..

***

(50)

فى القريـــة كان الأصدقاء مجتمعين فى مقهـــى يتناولون أقداحا من القهوة والنوم يغالبهم بشـــدة حتى أمسكت (منى) برأسها وهى تفتح عينيها بصعوبة وقالت :

– لا أستطيع أن أفتح عينيّ، هيا نعود إلى الفيلا ..

(سلمي) :

– وماذا عن (آسر) ؟!

(أحمد) :

– حتما سيعود (آســـر) .. ليس طفلا صغيرا كى نقلق عليه إلى هذا الحد ..

(ريم) :

– ربما يكون قد عاد إلى الفيلا ونحن نبحث عنه ..

(عبد الرحمن) :

– (ريم) محقه، لقد أوشـــك الصباح على القـــدوم .. غير معقول ألا يكون قد عاد ! لدى شـــعور أنه قـــد عاد إلى الفيلا ..

قامـــوا جميعا متجهين للفيلا وهم ينقلون أقدامهم بصعوبة .. وبعد دقائق كانت أقدامهم هذه على بعد أمتار من الفيلا حين أسرعت (منى) تبحث عن أخيها .. وعندما وجدته نائما خرجت لتخبرهم أن (آسر) قد عاد ..

***

(51)

فـــى البيت القديم كانـــت (هند) تصرخ بالرجـــل الدميم صرخات ارتعـــدت منها ولها جدران البيـــت المتهالكة :

- لماذا فعلت ذلك ؟!

لماذا لم تأخذ الجعران ؟!

ألم تأخذ روح (إيهاب) ؟

لماذا لم تعد لى روحى كما اتفقنا ؟!

لماذا أعطيته إياها ؟ لماذاااا ؟!

- لقد أخطأتِ ولم تلتزمى بأهم شرط ..
- شرط ؟! أى شرط ذلك الذى يجعلك تنقض اتفاقى معك ؟!
- تكلمتى ..

أخبرتى الولد بالحقيقة ..

تعلمين الشروط جيدا وأنك إذا تحدثت مع أحد تنتقل القوة إليه ..

- ماذا ؟! كيف نسيت أمرا مثل هذا ؟ كيييييييف ؟!
- لم تنسِ شيئا، (ســـارة) هى من أنستك .. هى تعرف الحقيقة جيدا وتعرفِ الشـــروط أيضا .. هى من خططت لما حـــدث، والنار منعت الولـــد من الدخول .. كان من الطبيعى أن تنســـى الشـــروط فى لحظات ســـعادتك بالانتصار ..

- أنت محق .. (سارة) كانت السبب فى إخفاقى هذه المرة .. كان يجب على أن اتخلص منها .. لو كنت أعلم أنها ستتحدانى يوما كنت ..

الدميم مقاطعا :

- لما فعلت شيئا لأنها جزء منك .. تعلمين هذا جيدا .. ليست (سارة) هى العقبة !

القلادة التى كان يحملها الولد هى العقبة التى تقف فى طريقك الآن.. يجب أن تبحثى عن طريقة تحصلين عليها بها قبل أن يحل الليل ..

- المقدرة هى من صنعت تلك القلادة .. مؤكد أنها من خططت وصنعتها كى تتحدانى يوما ما .. كنت محقا حين قتلتها ..

- لم أقتلها، هى أرسلت الجعران بآخر قوة لديها، ثم لفظت آخر أنفاسها ..

- ضحت بحياتها من أجل جعران ؟!

- ليس من أجل جعران، بل كى تضعف قوتك .. ولتعلمى أنها أرسلت الجعران إلى الولد فى القلادة التى تقيه شرك ..

- تقيه شرى ! هل كانت تعتقد أنى عدت كى أنتقم من الولد ؟! مستحيل ..

- لحسن حظك أنهم يعتقدون ذلك، وسيفعلون المستحيل لحمايته منك ..

- لابد أنهم مجانين .. كل ما حدث لى كان من أجله .. وحين أعود إلى الدنيا أعود كى أؤذيه !

- هذا اعتقادهم، وهذا فى صالحك كى تحققى انتقامك، وأنا أستطيع حصد الأرواح ..

- لكن ما حدث اليوم ممكن أن يتكرر غدا وحينها .. حينها لن أستطيع تحقيق أى شيء مما عدت من أجله ..
- إذا لابد أن يرى الولد كل شـــيء فى أســـرع وقـــت دون أن تخرقى الشـــروط مرة أخرى ..
- كيف ذلك و(سارة) تلازمه ولا تمنحنى أى فرصة كى أريه شيئا ..
- فكرى فى طريقة أخرى تجذبينه بها بعيدا عن (ســـارة) .. هل نسيت الفتاة ؟!
- معك حق، ليس هناك طرق أخرى غير البنت ..
- لابد أن تحصلى على القلادة كى يكتمل ظهورنا ..

***

(52)

فى القرية كانت الشمس ساطعة والجو ربيعى .. ورغم حركة المصيفين هنا وهناك إلا أن الفيلا كان يعمها الهدوء الشديد ..

فى الداخل كان الجميع يغطون فى نوم عميق، فتحت (سلمى) عينيها وتلفتت حولها لتجد (ريم) نائمة فجلست على طرف فراشها ونظرت للساعة بجوارها لتجدها قد تعدت الواحدة ظهرا ..

قامت بهدوء وذهبت إلى المطبخ وأعدت لنفسها كوبا من الشاى ثم خرجت إلى الشرفة واسترخت مستمتعة بالهواء وضياء النهار ..

فى غرفة (آسر) كان هو الآخر قد استيقظ وجلس فى فراشه .. نظرلنفسه فوجد أنه قد نام بملابسه ..

اتجه نحو دولابه يبحث عن ملابس نظيفة ثم إلى الحمام ليغتسل من أثر تلك الليلة المفزعة ..

فرغ من غسله ثم ذهب للمطبخ وأعد لنفسه كوبا من الشاى .. حمله واتجه نحو الشرفة ليتفاجأ بـ(سلمى) مسترخية وقد أغمضت عينيها، فحياها همسا :

- صباح الخير..

انتبهت إليه لتلقى نظرها نحوه دون إجابة، فابتسم لها ثم جلس بجوارها مسترخيا فى مقعده :

- أعرف أنى كنت سخيفا بالأمس .. آسف .. أرجو تقبل اعتذارى ..

- لم تكن سخيفا، بل كنت مخيفا !
- صراحـــة .. أنت محقة، لكنى كنت قلقا بشـــدة من أجلك، كنت أبحث عن طريقة أبعدك بهـــا بعد عما يحدث لى ..
- آسفة لأنى لم أكن أصدقك، إن ما حدث يصعب تصديقه ..
- أحيا فى ذلك الجحيم منذ أسابيع، ولا أستطيع الخلاص منه ..

لاحظت (سلمى)القلادة فى رقبة (آسر) فتأملتها لحظات ثم سألته :

- ما هذه السلسة الغريبة ؟ لمأارك ترتديها من قبل ..
- إنها هدية من (سارة) ..
- من (سارة) هذه ؟!
- (سارة) التى أنقذتنا !
- أريد أن أعرف كل ما حدث قبل أمس، ومن (ســـارة)، والســـيدة ذات الملابس الســـوداء ماذا تريد منك ؟!
- أنـــا الذى أريد أن أعرف لمـــاذا أدخلوك فى اللعبـــة .. ما أهميتك بالنســـبة لهم كى ترى ما أراه ..
- مؤكد أنهم علموا أنك تحبنى ..
- لنتحدث بجد، أريد أن أحكى لك كل ما حدث، وأنا على يقين أنك ستساعدينى كى أفهم ما يحدث بما أنك الوحيدة التى رأت ما أراه ..
- إذن علينا الرحيل من هنا كى نستطيع الحديث قبل أن يأتى أحدهم ويقطع جلستنا ..
- هيا بنا ..

***

(53)

دارت الشـــمس وجاوزت الساعة الرابعة عصرا عندما تجمع الأصدقاء أمام مائدة الإفطار فى الشرفة، ومن بعيد وجدوا (آسر) و(سلمى) يقتربون منهم، فأشاروا لهما حتى وصلا عندهم .

مرت ساعة كاملة ومازال (آسر) يوضح لهم كل شيء على قدر فهمه للأمور وقد وضع الحقيبة بجواره وأخرج منها كل الأوراق التى تنقلت بين أيديهم جميعا، وهم غير مصدقين للأحداث الخرافية التى يخبرهم بها ..

تنهد (كريم) ونظر لهم ووضـــع الأوراق على المائدة وقام من مقعده غير مصدق وهو يقول :

- هل تريد أن توهمنا أن هناك أمور خارقة للطبيعة تحدث معك ؟

(آسر) :

- هذا بالفعل ما يحدث، وقد رأت (سلمي) ذلك بنفسها ..
- ولماذا لا نشـــعر نحن بما رأيته انت و(سلمي) ؟ ولماذا (سلمي) ؟ كان مـــن الأولى ان تكون (مني) مكانها فهى أختك !
- لا أعرف إلى الآن ما السبب، حتى أن هذه الأوراق لا توضح شيئا !

(أحمد) :

- هل ستذهب معك (سلمي) الليلة الى المكان الذى كنت به ليلة أمس ؟
- (سارة) اخبرتنى بذلك، ولم تخبرنى بالسبب !

منى : وماذا عنى ؟ ما الخطر الذى يهددنى كى تحذرك (سارة) ؟!

- لا أعرف السبب إلى الآن ..

(ريم) باستنكار :

- تريد أن تقنعنا أن (هند) عادت لتنتقم ؟!

إذا كنت أنت ابنهـــا أو حفيدها كيف تريد الانتقام منك ؟! كان يفترض أن إحساسها بالحرمان يجعلها تعود مشتاقة إليك، كى تشبع حنينها إليك !

- هذا ما شـــعرت به من حديثها فعلا .. لم أشـــعر أبدا بالخوف منها، لكن (ســـارة) حذرتنى كثيرا منها ..

(عبد الرحمن) :

- هذه السيدة قد باعت روحها للشيطان كى تحصل على فرصة للعودة والانتقام ممن ظلمها، وحين وجدت أن لها امتداد فى الحياة - الذى هـــو حفيدها - اختلفت نيتها، فقررت أن تقايض روحها الطيبة بروح من ظلموها ..

(كريم) :

- لم تضف جديدا .. هذا ما قاله (آسر) ..

(عبد الرحمن) :

- الســـؤال هنا هو لماذا ؟! لماذا تريد أن تســـترجع روحها مرة أخرى من الشـــيطان رغم أنها من وهبتها له من قبـــل ؟ ما الدافع لديها كى تستعيد آدميتها مرة أخرى ؟!

(كريم) :

- ربما شعور بالذنب والندم، أو أنها تريد أن تصلح ما فسد ..

(عبد الرحمن) :

- هذا ما أريد قوله، لكن لماذا حدث ذلك بعد ما رأت (آسر) ؟

لماذا تريد ذلك الآن ؟

ما قالته لـــ(آسر) هو جزء من الحقيقة، لكن بقية الحقيقة لا يعرفه (آسر) .. هى فقط من تعرف الحقيقة كاملة ..

(مني) :

- ربما تريد أن تعوض ما فاتها ..

(عبد الرحمن) :

- ربما يكون ذلك صائبا، لكن هناك ســـؤال مخيف : ما الطريقة التى ستعوض بها ذلك الحرمان ؟!

(أحمد) :

- ماذا تقصد ؟!

(عبد الرحمن) :

- لقـــد حرمت من أبنائها، والذى على قيد الحياة الآن هو حفيدها، إذا كانت تريد أن تعوض حرمانها بـــ(آسر)، كيف ستحقق ذلك ؟!

(آسر) :

- لم أفهم ما تقصده، ولا أعرف ماذا تنوى هى فعله .. هل تريد الحياة معى باقى عمرها، أم انها ستقتلنى وتحتفظ بروحى معها ؟!

(أحمد) :

- لا يجب أن تفكر بهذه الطريقة، إذا كانت قد عادت لتشـــبع امومتها فلماذا عادت بعد وفاة أبنائها .. لماذا تكتفى بحفيدها ؟ لماذا لم تخرج قبل ذلك؟ لماذا انتظرت خمسين سنة ؟!

(آسر) :

- مؤكد أنى ســـوف أحصل علـــى إجابة كل هذه الأســـئلة عندما أقابلها الليلة، لكنى أخشى هذا اللقاء وغير مطمئن .. أحتاج إليكم

بجواري.. هل ستأتون معى أنا و(سلمي)، أم سنذهب وحدنا ؟!

(عبد الرحمن) :

- لن نتركك فى أى وقت تحتاج إلينا فيه ؟ سنذهب معك جميعا ..

تنبه (آسر) إلى أن (سلمى) غير موجودة .. فتلفت حوله باحثا عنها متسائلا :

- أين (سلمي) ؟

(مني) :

- ذهبت إلى الحمام ..

(آسر) :

- منذ متى ؟

(ريم) :

- منذ دقائق .. لماذا أنت قلق عليها ؟

(آسر) :

- اذهبى للاطمئنان عليها يا (مني) ..

اتجهت (مني) إلى الحمام وطرقت الباب ونادت على (سلمى) لكنها لم تحصل على إجابة .. أعادت النداء لكن دون جدوى ! تعالى نداؤها، فأسرع الأصدقاء نحوها يتقدمهم (آسر) الذى بدأ فى طرق الباب بقوة قلقا عليها، لكنه لم يحصل على إجابة ..

تنحى (آسر) جانبا فدفع (كريم) الباب بكتفه عدة مرات حتى انفتح على مشهد أفزع الجميع .. فلقد كانت ستارة البانيو محترقة تماما والدخان يتصاعد منها .. وعلى المرآة كلمتان بخط متفحم :

(الليلة موعدنا) ..

***

(54)

فى الواحة بينما الشـــيخ و(الحاجى) و(ســـارة) مسترخيين فى هدوء انتفضت (ســـارة) من مكانها فجأة، فنظر لها الرجلان بقلق فقامت من جلســـتها وهى تقول بقلق شديد :

- البنت ..

(الحاجى)قلقا :

- مالها البنت يا (سارة)؟

- لقد أخذت البنت !

الشيخ :

- كيف أخذتها ؟!

(سارة) صارخة :

- أخذتها .. أخذتها..

(الحاجى) يهم واقفا :

- إهدئى يا (سارة) وعرفينا .. البنت فى خطر ؟! هل تؤذيها ؟!

(سارة) :

- لأ .. هى إلى الآن محافظة عليها، لكن فى الليل ..

(الحاجى) :

- ما نيتها بالظبط ؟

(سارة) :

- ناوية تجعل البنت طعما، حتى يسلمها الولد السلسلة ..

(الحاجى) :

- ولو لم يسلمها فما مصير البنت ؟
- لا أعـــرف .. هى تحـــاول حجب أفكارها عنـــى، وكل ما وصلنى أن البنت معها وأنها تريد السلســـلة..
- والولد .. مكانه الآن ؟
- الولد فى القرية مع أصحابه ينادى علي.. هو خائف ومفزوع ..
- اذهبى له يا (ســـارة) وطمئنيه ونحن معكِ لحظة بلحظة .. وربنا يستر..

اختفت (سارة) من أمامهما وهما ينظران لبعضهما بقلق..

***

(55)

وفى الفيلا كانت صدمة الموقف أكبر من احتمال الأصدقاء الذين أصابهم الخرس فى حين أمســـك (آسر) بالقلادة وهو ينادى صارخا :

- أين أنت يا (سااارة) ؟!

(سلمي) فى خطر ..

(سلمي) اختفت ..

لابد أن تنقذيها ..

وقف الأصدقـــاء يتابعونه فى ذهول وقد أصابهم الخرس .. يتابعونه وكأنه قد أصابه الجنون، إلا أن القلادة أضاءت فجأة بشكل أفزع الجميع فتراجعوا للوراء وهم يرون (سارة) قد ظهرت وسطهم فجأة.

أنا هنا، لا تخف .. (سلمي) بخير حتى الآن !

(آسر) :

- أين هى ؟!

لماذا أخذتها ؟!

لماذا لم تخطفنى أنا ؟

لماذا أخذت سلمى ؟

- اهدأ .. ليس بمقدورها أخذك، وهى لن تؤذيها .. (سلمي) لا تعنيها فى شيء، ولا حتى أنت ..

ما يعنيها هو القلادة التى علقتها فى رقبتك ..

- لا أريد تلك القلادة .. فلتعد (سلمي) ولتأخذ ما تريد ..

- لا تقل ذلك مرة أخري، .. هى لا تستطيع أن تؤذيها طالما أن السلسة معك، هل فهمت ما أقول ؟!

(كريم) :

- من هذه المرأة يا (آسر) ؟! ومن أين أتت ؟!

(آسر) :

- هذه (سارة) التى ظهرت لى وتساعدنى ..

(سارة) :

- أنتم أصدقاؤه ويبدوا أنكم تحبونه، لابد أن تساعدوه وتكونوا دائما بجواره ..

سوف آخذ (آسر) معى الآن لأنها ستحاول اختطافه كما فعلت بـ(سلمى)، لكن (مني) لن تكون آمنة .. وهنا دوركم أن تكونوا بجوار (مني) دائما ..

(كريم) :

- وكيف سنطمئن على (آسر) ونحن لا نعرف مكانه ومعزولون عنه وعن (سلمي) ؟

(مني) :

- لن أترك (آسر) وحيدا ابدا .. لابد أن اكون بجواره .. لن أستطيع المكوث هنا وأخى فى خطر ..

(سارة) :

- ستكونون معنا لكن من وراء السور ..

(أحمد) :

- أى سور ؟!

(سارة) :

- سور المزرعة ..

(ريم) :

- المزرعة ؟! وما علاقة المزرعة بما يحدث ؟!

(آسر) :

- لأن كل الاحداث تدور هناك، عند الدائرة بجوار سور المزرعة ..

(سارة) :

- لا مجـــال لإضاعة الوقت .. هيا إلى المزرعة، ولا تتركوا (مني) تغيب عن أنظاركم أو تبتعد عنكم ..

(مني) :

- هل سأكون بجوار أخى ؟!

(سارة) :

- لا تقلقى على (آسر)، سيكون دائما بخير .. لابد أن تتحركوا الآن .. هيا ..

التفت (آســـر) ونظر لأصدقائه فابتســـموا له لتحفيـــزه على إنجاز مهمته .. التفت لـــ(ســـارة) التى مدت له يدها واتجها معا إلى الشرفة حيث غلفهما الضباب حتـــى اختفيا فيه ..

***

(56)

فى مكان آخر كانت (هند) تدخل صرحا تجاريا كبيرا وهى فى أبهى صورها، واستقبلتها السكرتيرة بابتسامة فسألتها بدلال :

- السيد (جلال) موجود ؟!
- نعم هنا ..
- أخبريه أن هنا سيدة تريد أن تستثمر أموالها معه ..

السكرتيرة ترفع سماعة الهاتف :

- سيد (جلال)، هنا سيدة تريد مقابلتك، تقول أنها تريد استثمار أموالها معك ..

ثم أنصتت لثوانٍ ووجهت سؤالها لـ(هند) :

- كم المبلغ ؟
- خمسة عشر مليون دولار ..

أكملت السكرتيرة حديثها مع (جلال) ثم أغلقت الهاتف، و أكملت حديثها مع (هند) :

- السيد (جلال) فى اجتماع هام الآن .. مدير أعماله سيحضر الآن للاجتماع معك ..
- أعتذر عن قدومى .. شركة الأوطان ستكون أفضل ..

مؤكد أنى سألقى ترحيبا أفضل من ذلك لديهم ..

همت (هند) أن تنصرف فى حين حاولت السكرتيرة تهدئتها خشية أن

تضيع الصفقة ..توســـلت إليها بالانتظار دقائق حتى تتعرف على موعد انتهاء اجتماع (جلال) ..

أسرعت إلى مكتب مديرها وطرقت الباب ودخلت مسرعة، وبعد لحظات خرج عدد من الرجال وخرجت السكرتيرة وقالت لها بابتسامة :

- السيد (جلال) ينتظرك بالداخل ..

قامت (هند) بهدوء ودخلت المكتب وتقدمت حتى جلســـت على المقعد أمام (جلال) الذى نظر لها مبتســـما وقد غطى الشـــيب شعره، وأخفت عوامل الزمن وســـامته خلف التجاعيد المنتشرة على وجهه..

(جلال) :

- أرجـــو تقبل اعتذارى علـــى التأخير .. العمـــل لا يمنحنا الفرصة للتنفس .. تعلمين أن المنافسة شـــديدة وأفضل دائما أن أكون فى الصدارة .. كيف يمكننى مســـاعدتك ؟

ضحكت (هند) :

- ألم تتذكرنى بعد ؟

(جلال) بحذر:

- أشـــعر أنى رأيتك قبل ذلك .. وجهك ليس غريبا عنى .. المعذرة فأنا لا أســـتطيع تذكر أين رأيتك من قبل ..

(هند) بدلال :

- سأعرفك بنفسى ..

أنا (هند) .. لا يعقل أن تنســـانى بهذه السرعة، فقد كنت أنا سبب هذا الثراء .. كيف تنسانى ؟

اعتدل (جلال) فى جلسته :

- (هند) ؟! من أنت ؟!

- أصابك الشـــيب وضعفت ذاكرتك إلى هـــذا الحد ؟ أمثالك من الصعب أن يتذكروا من دهســـوه بحذائهم ..

- من أنت وماذا تريدين ؟! ليس لدى وقت لأضيعه فى هذا الهراء ..

- حقا إنه هراء، فلن يجدى هذا الحديث نفعا بعد كل هذه السنين ..

أنا (هند) زوجتك يا (جلال) ..

أنا التى انتزعت منها كل شيء ثم تركتها للموت ..

أنا التى قتلت ابنها قبل أن تراه وحكمت عليها بالإعدام ..

هل تذكرتنى ؟!

- هـــل تريدين أن أصدق هذا الهراء ؟ أنت حقا تشـــبهين زوجتي، لكن مســـتحيل أن تكونى هى .. لســـت أحمقا إلى حد أن أصدقك !

- إلى هذه الدرجة أصبحت أعمى البصر والبصيرة !

- إذا كنت هى فعلا، كيف ستظلين شابة إلى هذا الحد ؟

ألم ينتزع منك الدهر شيء ؟ أنت محتالة وجئتِ لتضيعى عليّ وقتي.. اغربى عن وجهى .. ليس لدى وقت لإضاعته !

- الجميـــع أخذ منهم الدهر إلا أنت .. أعطتك الدنيا كل ما حلمت به وتمنيته، وأخذت من كل الناس وأعطتك، أنا هنا الآن كى أنفذ فيك حكم الدهر وأسترد حقى وحق أبنائى وحق السنين ..

أمسك جلال بذراعها فى عنف يدفعها نحو الباب :

- قلت لك اغربى عن وجهى .. أنت مجنونة ..

أمسكت (هند) بيده الممسكة بذراعها وهى تقول له بحقد شديد :

- المجنون هو الذى لا يصدق الحقيقة التى تجسدت أمام عينيه ..

مازال غرورك يعميك ..

سأريك الحقيقة رغما عنك .. سأريك كى تعلم كم أنت حقير ..

اغلـــق جلال عينيه بقوة ووقع على ركبتيه، تركت هند يده ليتهاوى ونظرت لهشامته، فتح عينيه بصعوبة ونظر لها متوترا..

- الان تيقنـــت باننى هنـــد، لقد عدت من الموت، عـــدت لانتقم منك واقتص لنفسى مما فعلته بي، عدت كى استرد كل ما سرقته منى وعمـــرى الذى حرمتنى من ان احياه ..

- كيف ؟

كيف بعد كل هذه السنوات ؟

كيف عدت من الموت ؟!

- عدت بالنار التى أحرقتنى بها ..

عدت بكل ما أحويه بداخلى من كره لك ..

عدت بظلمك لى ..

كم قبلت قدميك كى ترحمنى !

- مســـتحيييييل .. مستحيل أن يكون ذلك حقيقيا ! أنا أحلم .. ماذا يحدث لى ؟!

- ليس حلما يا عزيزي، هذا هو الكابوس الذى لن تستيقظ منه أبدا ..

ظهر الرجل الدميم أمام (جلال) فجأة فارتعدت فرائصه رعبا من منظره..

تراجع (جلال) للوراء فابتسمت وقالت :

- عدت من الجحيم الذى ألقيت بى فيه .. عدت كى أرسلك أنت إلى الجحيم .. هذا هو المكان الذى يليق بك، وكان يجب أن تكون هناك منذ زمن بعيد ..

أمسك الرجل الدميم بيد (جلال) وأحكم قبضته عليه بقسوة جعلته يدخـــل فى نوبة صراخ بعدما ســـالت دماؤه أمام عينيـــه، يتابعها برعب تملك منه وكاد يصرعه ..

(57)

حل المســـاء سريعا وخيم الظلام .. هناك فى نفس البقعة حيث دائرة النار كانت (هند) تقف ضاحكة حين كانت (سلمى) جالسة على الأرض وقد تملكها الرعب وهى تنظرحولها نظرة فزع ..

على بعد خطـــوات منها كان هناك رجل شـــديد الأناقة وإن تعدى السبعين من عمره يقف بتحدٍ ساخر من (هند) وهى مستمرة فى إطلاق ضحكتها .. نظرت (هند) للرجل :

- مبارك عليك يا (جلال) .. جاءك الولد أليس كذلك ؟! إذا كان الولد بهذه الوسامة سأكون أسعد إنسانة على وجه الارض ..
- إذا كنت تعتقدين أنك بهذا استطعت هزيمتى فأنت مخطئة .. لن أسمح لك بهدم كل ما بنيتـــه على مدار عمرى .. عدتِ من الموت كى تنتقمى ؟
- لم أعد للانتقام، بل عـــدت لإذلالك كى تتجرع نفس الكأس الذى ســـقيتنى منه لتذوق طعم المرار .. على الأقل كى تعرف طعمه ..
- لن يخلق بعد من يستطيع إذلالى أو قهرى ..
- هل أنت واثق مما تقول يا سيد (جلال الورداني) ؟!

انتبهت (سلمى) حين سمعت الاسم ونظرت لـــ(هند) التى نظرت لها ثم ابتسمت فسألتها :

- ماذا بك ؟!

لماذا انتبهت فجأة ؟

هل يذكرك ذلك الاسم بشيء ؟

عموما ما دار برأسك صحيح، وستدركين كل شيء بعد قليل ..

(سلمي) :

- لماذا أتيت بى إلى هنا ؟ ماذا تريدين منى ؟!

(هند) :

- ستعرفين لماذا أتيت بك إلى هنا، الآن لدينا احتفال ..

تقدم رجلان يرتديان السواد من (سلمى) وجذباها من ذراعيها بقوة ووضعاها فى أحد أطراف الدائرة وأحاطاها بدائرة صغيرة من النار، فزاد فزعها وفرت دموعها ..

التفتت (هند) إلى (جلال) فأمسكه رجلان آخران فى وسط الدائرة وصدحت الموسيقى عالية ليظهر عدد من الرجال يرتدون السواد ويشكلون دائرة حوله وينزعون عنه بذته وقميصه عنوة وهو يقاومهم ..

على أنغام الموسيقى الصاخبة راحوا يجلدونه وهم يدورون حوله وهو يتلوى ولايقدر أن يحرر نفسه منهم أو يدافع عن نفسه .. ثوان وانهار من الألم وتهاوى على الأرضى نازع الموت ..

توقفت الموسيقى لتتعالى ضحكة شيطانية شامتة منتصرة سعيدة من (هند) .. اقتربت منه وهو يتلوى من الألم والانهيار :

- ما شعورك الآن ؟

جلد ..

ذل ..

إهانة ..

هل تتذكر ما فعلته بى من قبل ؟

سأكون رحيمة بك ..

فجأة صاح (آسر) من خارج الدائرة :

- يكفى ما حدث .. أنت أفضل من ذلك يا أمى .. لماذا تريدين الظهور بصـــورة قبيحة عكس حقيقتك .. يكفى ما حل عليك من ظلم .. لا تظلمى نفسك أكثر ..

صعقت (هند) من ندائه لها .. تلعثمت وارتبكت :

- أنت.. أنت .. ماذا قلت ؟!

- أمى .. أنت أمى ..

اقشعر جسدها وارتبكت ونظرت له وهى غير مصدقة ..

لأول مرة فى حياتها تسمع ذلك النداء :

(أمي) ..

كلمة أذابت قلبها وجعلتها تتســـمر فى مكانها وقد نسيت كل شيء حولها ..

نظرت له (ســـارة) ودموعها تجرى على وجهها المبتســـم ومن حولها (الحاجى) الذى رفع حاجبيه الرجال الثلاثة الذين طأطأوا رؤوسهم فى جلل، ومن خلف أسوار المزرعة كان بقية الأصدقاء يتابعون مايحدث فى ذهول مما يرون، بينما انفجرت (منى) فى البكاء وهى تضغط بيديها على الأسلاك الشائكة حتى أدمتها دون أن تشعر ..

كل من فى المكان صمت، فتلك الكلمة كانت كالسحر الذى يغير الدنيا كلها..

(هند) :

- لماذا نطقت بهذه الكلمة ؟!

- لأنك أنت أمي، هل يستطيع رجل أن ينطق بها دون أن يشعر بها ؟!

- وهل تشعر بها تجاهي؟!

أنا ؟!

- طبعا، هى لك .. لك أنت يا أمى ..

بينما (هند) فـــى تلك الحالة الرائعة والجميـــع حولها فى صمت، مقدرين تلك اللحظات، إذ ظهـــر الرجل الدميم فجأة وصاحبه صيحة أفزعت الجميع :

- ماذا بك ؟ ألا تعلمين أنها خطتهم كى تخرقين الشروط ؟!

يريدونك ضعيفة؛ كى يسرقون روحك الثانية ..

(هند) :

- ماذا جاء بك الآن ؟!

لأول مرة أسمع تلك الكلمة .. الكلمة التى حرمت منها عمرى كله ..

أليس بقلبك شيء من الرحمة ؟!

- لا، ليس لدى .. منذ متى ترحم الشـــياطين بنى البشر؟! هل نسيت ســـبب ظهورك ؟ لقد عدتِ لمهمة محددة ويجب أن تنفذيها حالا ..

- لكن ..

- لا مكان للضعفاء هنا، لابد أن أعود بالروح الثانية الليلة ..

- لا، لست مستعدة ..

- كيف لا تكونى مستعدة ؟!

- لن أتكلم هذه المرة، (جلال) هو من سيتكلم ..

لابد أن ينطق بالحقيقة ..

لابد أن يعترف بجرمه قبل أن تصعد بروحه معك ..

(آسر) :

- لقد علمت بكل شيء .. الأوراق أخبرتنى بكل شيء ..اتركيه يرحل لا نريد منه شيئا، أرجوك يا أمي، يكفى ما حدث ..

يكفيك عذاب وألم ..

سارة :

اتركها يا (آسر)، لن تشعر بالراحة إلا إذا اعترف هو بظلمها ..

صمت (آســـر) ونظر لـــ(هند) التى التفتت لـــ(جلال) بحقد صارخة فيه :

- هيا تكلم .. انطق بالحقيقة .. أخبرهم ..

رفعت كفها ثم لطمته صارخة :

- لابد أن تعلم الدنيا كلها بما فعلته بى ..

(جلال) :

- إذا كنـــت تنوين قتلـــي، فهيا اقتلينى .. لكنى لـــن اقول أبدا بأنى ظلمتـــك .. تعرفين لماذا ؟!

لأنك خائنة ..

- أنا خائنة ! متى خنتك وفيم خنتك ؟!

- أحكمت قبضتـــك على كل شـــيء، كان كل دورى أن أنمى لك أموالك وأؤسس لك شركات وأشترى لك قصرا تكونين أنت الآمرة الناهية فيه ..

- كانت كلها أموالى .. لم أبخل عليك يوما .. كل شيء كان بين يديك .. آمنتك على روحى قبل أموالي؛ لأنى احببتك ..

- كاذبة، لم تحبى شيئا سوى أن تنجبى طفلا ..

كنت بالنسبة لك وسيلة فقط كى تصبحين أما، وبعد أن تتحقق امنيتك تكتبين كل شيء باسم وليدك، أما أنا فلن يكون لى شيء .. كانت خطة رائعة ونفذتيها بذكاء لولا أنى تيقنت قبل أن تضعى وليدك ..

لولا ما فعلته لعشت بين الناس شحاذا ..

- سرقتنى وسرقت ابنى قبل أراه بعينى وتتهمنى الآن بالخيانة لمجرد أن خيالك صور لك أنى كنت أنوى ما تقول ؟

حرمتنى من كل حقوقى وانتزعت كل شيء منى .. حتى الحياة سلبتها مني، وكل ذلك كان بدافع وهم بخيالك؟!

- لم يكن وهما، أنت من دفعنى إلى فعل ذلك كى استرد مقابل تعبى حتى ولو سرقته، وأن أسرق ابنى ايضا ولو استطعت سرقة عمرك كله لسرقته، لكن للأسف انتهى أجلك قبل أن أقتلك ..

هنا، صرخت (سلمى) بانهيار :

- يكفى كذبا، أخبرتنى أمى أنك سرقت أموال جدتى التى كانت قد سجلتها باسمها، وأرضها أيضا أجبرتها على التنازل عنها بعدما سجنتها فى غرفت المعيشة لأكثر من عام وتعذبها كما عذبت امها.. أنت الخائن وليس هي، أنت حقا مريض ..

انهارت (سلمى) فى البكاء، بينما نظر لها الجميع غير مصدقين أنها على علاقة بكل مايدور..

(هند) شامته :

- هل رأيت ؟ حتى حفيدتك كشـــفت ظلمك .. كشـــف خيانتك لـى ولابنتك التى كتبتها على الـــورق ولدا كى تخترع لها حادثة وتقتلها أيضا على الـــورق وترثها وهى على قيد الحياة ..

التفتت (هند) لـــ(آســـر) الذى لم يعد يدرى بنفسه من التعجب مما يســـمع وابتسمت له وأشارت إلى (سلمى) وهى تقول :

- هل علمت الحقيقة الآن وعلمت من تكون سلمى ؟!

(آسر) :

- سلمى حفيدتك من ابنتك، وأنا حفيدك من ابنك !

لا أستطيع أن أصدق أن هناك بشر بهذه القسوة .. أعمته الدنيا فلم يعد يرى غير المال !

(جلال) :

- المال هو الذى يجعلك تتحكم بالعالم .. أنا لم أنجب غير بنت وحيدة، حين ولدت اخبرتنى القابلة بأنها ولد، كان كل شـــيء على ما يرام حتى اكتشـــفت أنها أنثى وليست ذكرا ! كان كل ما خططت له على وشك الانهيار ولم يكن بيدى شيء أفعله ..

بأموالى جعلتها ولدا وأخذت كل شيء ..

ولست نادما على أى شيء فعلته ..

قطع الدميم الحديث :

- الوقـــت قد قـــارب على الانتهـــاء .. لقد بانت الحقيقـــة وعلم بها الجميـــع.. أظنك مســـتعدة الآن ..

نظرت (هند) لـــ(آسر) مبتسمة ثم التفتت للرجل وأومأت له برأسها، فتمتم بكلماتـــه الغريبة ثم رفع وجهه للســـماء وعندما خفضه انطلق شعاع أغشى الأبصار متوجه لـــ(هند) التى تلقته على ذراعيها ثم التفتت

لـــ(آسر) وقذفت الشعاع نحوه ليخترق القلادة بقوة دفعت (آسر) للخلف ليتلقفه (الحاجى) قبل أن يســـقط، عندمـــا التفت الجميع إليها وجدوا (جلال) ميتا على الأرض وقد اختفى الرجل الدميم وانطفأت دائرة النار حول (سلمى) كما خبت دائرة النار حول (هند) التى خارت قواها فهوت على الأرض ..

(سارة) لـــ(آسر) :

اذهب إليها .. هـــى بحاجة إليك واطمئن .. لم تنو إيذاءك أو إيذاء (سلمي) .. اذهب إليها وسم بسم الله ..

خطي(آسر) داخل الدائرة الخابية حتى وصل أمام جدته فجلس على ركبتيه ووضع يده على كتفها فرفعت رأسها ونظرت له ..

(آسر) :

- لما فعلت كل هذا ؟!
- كى أحرر روحى من الشـــيطان .. لا يمكـــن أن ألقى الله مظلومة وكافرة .. منحتك روحـــى الثانية لأنك أولى بها منى .. أما عن قوة الجعران الباقية فسأســـتغلها فى الخير ..
- لم تخبرينى عن الخطر الذى يهدد (مني) ..
- أمهـــا كانت ابنة زوجة (جلال)، وكان معها كل الأوراق التى تثبت حقوقكم أنت وهى و(سلمي)، (جلال) كان يبحث عنها كى يحصل على الأوراق ويقتلها ..
- لكننى قرأت جميع الأوراق، وليس هناك مستندات باسمها !
- كل الأوراق التى تثبت حقوقكم أودعتها أمكم باسم (مني) فى خزانة البنك؛ كى تحصلون عليه فى السن الذى تستطيعون فيه المطالبة بحقوقكم .. لكن الآن قد مات (جلال) وأصبح كل شيء ملككم ..

- جئتينا كى تحمينا وتعيدى إلينا حقوقنا المسلوبة !!

لماذا جعلتينا نشعر أنك عدتى لتنتقمى من الجميع ونحن معهم !

أم أن هذا ليس سبب عودتك ؟!

- حتى وإن لم يكن رد حقوقكم سبب عودتى الأساسى، فقد عدت كى أقتص لنفسى ..

قطعت (سارة) الحديث :

- يكفى ما علمته يا (آسر) .. اتركها الآن كى تستعد ليوم غد ..

(آسر) :

- هل ما زال هناك غد ؟! يكفى ما حدث .. لم يعد بمقدورى تحمل أكثر من ذلك ..

ابتسمت (سارة) ومدت له يدها فقام معها و(هند) تنظر له بحنان جارف ..

مشى مع (سارة) حتى وصل لـ(سلمى) فمد لها يده فأمسكت بها وخرجوا جميعا من دائرة النار .. وما أن خطوا خارجها حتى انطفأت بقايا نارها تماما وغطى الضباب معالمها وخيم الظلام .

***

(58)

فى الواحة كان الجميع فى ضيافة الشـــيخ (نعمان) الذى أكرمهم وأعـــد الولائم، وضع أمامهم صحف الطعـــام المختلفة .. لأول مرة منذ أيام شعر الجميع بالهدوء والراحة بعد كل ما حدث، إلا أن (سارة) كان القلق بادٍ عليها وإن بادرته بابتســـامة لاحظها (الحاجى) فسألها :

- ماذا بك يا (سارة) ؟ القلق يحفر ملامحا على وجهك بشدة .. لقد قطعنا شوطا طويلا ولم يتبق إلا ساعات قليلة ..

- صراحـــة .. كل ما يحـــدث غريب .. (هند) لم تعد كى تســـامح وتغفر.. وكيف تنقلب فى لحظة لتتدفق منها الأمومة بهذه الصورة ! لا أشعر بالراحة !

- أليس ذلك خيرا ؟ ربما عند رؤية أولادها رق قلبها وتراجعت عما حل بها من شر .. ربما ..

- (هند) تتراجع عن شىء ؟ أنت لا تعرفها جيدا .. (هند) من المستحيل أن تتراجع عن قرار اتخذته مهما كان ..

- أنت تريدين أن تقلقينى وتقلقى نفسك وحسب ! عموما هل تشعرين بشىء ما من ناحيتها ؟

- المشـــكلة أنها تحجب عنى أفكارها ! لكن مشـــاعرها تصلنى .. هذه المشـــاعر هى التى أصابتنى بعدم الارتياح .. (هند) تخطط لشـــىء مـــا.. أنا متأكدة .. أنا فقط لا أعـــرف ما تخطيطها بالضبط !

(آسر) ملتفتا لـــ(سارة) :

- أنت فعلا ساعدتينا جدا .. أشـــكرك لإنقاذ (سلمى) وأنقذتينى من يديها ..

- أخبرنى يا (آسر) ، بم أحسست معها وأنت داخل الدائرة ؟

- للأمانة كنت أشـــعر بالشفقة ناحيتها .. ما حدث لها لم يكن سهلا ولا بســـيطا .. أنا عندما ناديت عليها باسم أمى كانت منطلقة من قلبى .. إحساس حقيقى أنها أمى .. إحساس قوى لدرجة أنى رغبت فى خلع القلادة وإلباسها إياها ..

(سارة) وقد تنبهت :

- هل لمستها يا (آسر) ؟ هل أمسكت بها بيدها ؟

- أبدا .. إنها حتى لم ترها !

(سارة) تتنهد :

- الحمدلله..

ومن بعيد كانت (منى) جالسة وحدها حين اقترب منها (عبدالرحمن) وجلس بجوارها ثم قال :

- ماذا بك يا (منى) ؟ لماذا تجلســـين وحـــدك ؟ أليس من الأفضل أن تاتى وتجلسى معنا ؟

- أشـــعر بالاختناق .. أنا لا أطيق هذا المكان ولا أســـتطيع المكوث هنا أكثر من ذلك .. أنـــا أريد العودة للمنزل الآن !

- لمـــاذا يا (منى)؟ ما الذى يضايقك بهذه الصورة ؟ ألم ينتهى الخطر وعرفتى ما خطب (آسر) ؟ يعنى من المفروض أنك غير متضايقة .. بل المفروض أن تكونى فرحة الآن !

- يعنى .. هل كان لابد من حدوث كل هذا حتى أفهم ما الذى كان فـــى أخى ؟ وهل كان من الضرورى حدوث كل ذلك حتى أفهم أن

(سلمى) قريبتى ؟

وجدت (آسر) قادما من خلفها وطوقها بذراعيه فى حنان :

- ليـــس ذلك فقط يا (منى)، لكن عرفنا ميراثنا من جدتنا .. وحقنا عاد لنا كاملا دون سرقة أو غش ..

- إذن .. هـــى كانت قادمة فى الخير ؟ لكن لمـــاذا نحن ؟ لماذا لم تأت لأولادها مباشـــرة وهـــم أولى منا لترجع لهم حقهـــم .. لماذا تعود لأحفادها؟ لمـــاذا أعادت لنا الحق الذى ضاع منهـــا ومن أولادها ؟

(عبدالرحمن):

- ببســـاطة .. أعتقد أن أولادها كانوا أضعـــف من الوقوف فى وجه الظلمة والجبابرة الذيـــن افتروا عليها .. إنما أنتم كنتم على قدر مـــن القوة أمام جدودكم الذين تجاوزوا الســـبعين عاما .. أى أنها ساعدتكم بقوتها أمام ضعفهم .

(منى) :

- أنا أفتقد أبى وأمى بشدة ..

ونظرت لـــ(آسر) مغرورقة العينين بالدموع قائلة :

- أنا لا أريد ميراثا أو أى شـــىء .. أنا أريد أن نعود سويا بيتنا ونعيش فى أمان !

***

(59)

انقضى اليوم فى هدوء واسترخى الجميع فى بيوت الواحة وساحتها، كان الشـــيخ نائما فى داره يســـتريح عندما ظهرت له (هند) فى منامه مبتسمة ساخرة :

- دورك حان يا شيخ .. أنت وأهل الواحة الليلة آخر ليلة لكم ..

وأنت آخر انتقام..

الشيخ منتفضا فى منامه :

- ما اكتفيتى باللى عملتيه ؟!

كفاية .. كفاية ..

أنا أستاهل كل اللى تعمليه فيا ..

ظلمتـــك وخفيت عنك ولدك وما أكرمتـــك فى دارى، لكن الولد مالهم أى ذنب فى جرمـــي، ليه قلبك ما بيصفى ؟

ليه ؟

- أنت الوحيد ياشيخ ..

أنت الوحيد اللى عشت عمرك كله حاسس بذنبى ..

أنت الوحيد اللى فضلت تحاسب نفسك سنين ..

وده خلانى أسيبك للآخر..

الشيخ بحزن :

– ليه ماتغفرى وتسامحى ؟!

ده ربك بيغفر الذنب .. والله ماتركت ليلة من غير ما أستغفره على جرمـــى فى حقك إنتى وولدك، ولدك اللـــى راعيته فى دارى وأكرمته حتى صار له سنين ..

– قصدك بنتى ؟!

أنا عارفة كل حاجـــة من زمان وعارفة المعـــروف اللى قدمته واللى جعلنى غير مســـتطيعة أن أنتقـــم منك مثلهم ..

– وبإيه هايفيد انتقامك من كهل قدمه دنت من الموت ؟!

– انتقامى للأســـف لا ينفع معك ياشـــيخ (نعمان) .. تعرف لماذا ؟! لأنـــك من يومك عمرك ما نســـيت حـــق رب كعليك .. عمرك ماســـبت فرض .. حتى الأمانة صنتها .. حتـــى لو على غلط !

– ياترى هاتقدرى تغفرى وتسامحى ؟!

(هند) باسمة :

– ما يقابل الجميل إلا الجميل ياشيخ .. والدم اللى سال خلاص وقف عندك ..

قوم صلِ العصر ياشيخ .. الأذان بيأذن .. قوم اغسل ذنبك بالصلاة..

وادعى ..

ادعى ..

قام الشـــيخ منتفضا فى فراشه فســـمع صوت الأذان يؤذن فأسرع إلى (الحاجى) ليخبره بما رأى

إلا أنه توقف ونظر للمسجد الصغير للحظات، ثم أسرع ليصلى ..

***

فى تلك الأثناء كان (الحاجى) قد انتهى من الصلاة وجلس يسبح على مسـبحته حتى فرغ الشيخ من الصلاة فقص على (الحاجى) الحلم الذى رآه، فابتسم له (الحاجى) وقال :

- اطمن ياشـيخ .. خيرا بإذن الله .. ما رأيته يقول أن الشيطان رحل عنها ولن تؤذيك أنت أو أحدا من أهل الواحة .. ادعو الله يا شـيخ كمـا قالت لك .. ادعو الله وأنت فـى بيته أن يزيح الغمة وتنتهى الليلة على خير ..

نظر (الحاجى) لباب المسـجد ثم ابتسـم .. فنظر الشيخ هو الآخر ليجد االشـباب يدخلون معا كى يصلوا فحياهما وتركاهم للصلاة..

***

(60)

مر الوقت وجرت الشـــمس فى السماء تســـابق الوقت أيهما أسرع فى الانتهاء وبدأ الليل يســـدل خيوطه على الواحة عندما نادى(الحاجى) :

- هيـــا يا جماعة الخير، الليلة بإذن الله آخر ليالى الظلم، والحق راجع لأصحابه وكل واحد سيعود لداره وينتهى الأمر ..

(سارة) :

يا (حاجى) .. هناك شـــىء ما خطأ .. (هند) حجبت مشاعرها عنى ايضـــا ! أنا لا أجدها فى أى مكان ولا حتى عند دائرة النار ولاأشـــعر بها على الإطلاق !

- هل تشعرين بخطر على الأولاد يا (سارة) ؟
- إلى الآن .. لا ..

لكن .. هناك شىء ما ..

أنا متأكدة مما أقول ..

أنا لا أشعر بالارتياح !

- أنا أصدقك يابنيتي، لكن إنتى عارفة أن هذه هى آخر ليلة لنا كلنا، حتى لـــ(هند) .. وأكيد لو هناك أمر ما فســـيظهر .. ومهما حدث فســـينتهى كل شىء قبل الفجر بإذن الله .. هيا انهضى ونادى على الأولاد ليكونوا أمام أعيننا ..

قامت (ســـارة) متجهة إلى دار الشـــيخ (نعمان) حيث كان الأصدقاء

يســـتريحون فيه وبينما (الحاجى) فى انتظارهم إذ تجمع الضباب فجأة لتظهر (هند) أمامه بثوبها الأسود، ورغم أنها كانت فى أبهى صورها إلا أن (الحاجى) انتفض واقفا يردد :

- سلام قولا من رب رحيم .. سلام قولا من رب رحيم .

(هند) مبتسمة :

- أســـتغفر الله العظيم .. ماذا بك يا(حاجى) ؟! هل رأيت شـــيطانا لاسمح الله ؟!

- هذا ما كنت ترتبين له ؟ أن تظهرى فى الواحة لتكملى انتقامك ؟

- اطئمن يا (حاجى)، أنا ســـلمت الجعران الأخـــير وأخذت بدلا منه روحـــى التى كانت باقية عند الشـــر، بدون أرواح تمـــوت ولا انتقام !

(الحاجى) مندهشا :

- تقولين أن الشر انتهى للأبد قبل أن يهل الليل ؟

- نعم يا (حاجـــى) .. اطمئن .. أنا جئت زائرة لأولادى خالية من أى شـــر .. أتمنى ان اضمهم لصدرى ولو لمرة قبل أن أغادر للأبد .. لقد عشـــت محرومة منهم عمرى كله وأنت تعلـــم ذلك جيد .. اتمنى أن اسمع كلمـــة (أمى) التى حرمت منها .. هل هذا كثير على يا (حاجى) ؟

ظهر الأولاد مع (سارة) والشيخ (نعمان)، إلا أنهم توقفوا عندما فوجئوا بـــ(هند) أمامهم، فصرخت (سارة) بـــ(هند) بكل الغضب والعنف :

- مـــا الذى جاء بك إلى هنا يا (هنـــد) ؟ جئتى تكملى انتقامك من أهل الواحة ؟ أم أنك ســـتنتقمين هذه المرة من اولادك ؟

- اطمئنى يا(ســـارة) .. الشـــر رحل عنى للأبد، أنا بالروح اللى باقية لى جاية بكل الشـــوق والحب، كى أرى أولادى وأشبع منهم ولو لليلة واحـــدة فى عمرى .. ياترى من حقـــى أن أطلب الطلب الأخير قبل

الموت ؟

(آسر) مبتسما :

طبعا .. لك كل الحق يا أمى ..

وأمسك بيد كل من (سلمى) و(منى) وتقدموا منها حتى أصبحوا أمامها .. صرخت (سارة) بـ(آسر) :

- لا يا(آسر).. هذا فخ لكم !

لكن تبدل كل شيء فجأة؛ فلقد أطلقت (هند) ضحكة رائعة .. ضحكة سعادة عالية ودارت حول نفسها فأضاء المكان حولها هى وأحفادها الثلاثة بأنوار رائعة الجمال وانطلقت صواريخ ملونة فى الفضاء وصدحت الموسيقى ..

ليسمع الجميع غناءا عذبا بأجمل الكلمات المعبرة عن تلك اللحظة الرائعة وعن كل مايدور فى نفس (هند) وهى تتأمل أحفادها ودموع الفرحة تنهمر من عينيها، داعبت بأناملها وجوههم ولامست أطراف شعورهم وأمسكت بأيديهم وهى تتمايل مع نغمات الموسيقى الساحرة حتى انتهت وساد الصمت المكان .

فجأة صرخت (سارة) مرة أخرى على الأولاد وهى فى قمة الفزع عندما قرأت ما بنفس (هند) تجاههم :

- ابتعدوا عنها ..

- لقد عاشوا عمرهم كاملا بعيدا عني، أريد أن أقضى ليلى برفقتهم.. أحتضنهم .. سئمت الحرمان ..

اقترب (آسر) منها حتى أمسك بيدها وقبلها :

- رغم خوفنا منك فى البداية لكن كنت على يقين أنه لايوجد أم تود أذية أبنائها .. إنى شاكر لك أنا وأختى على كل ما فعلتيه من أجلنا ..

- لا يمكن لأم أن تؤذى أبناءها، ولا يجب أن يشكر الأبناء أمهم على

حنينهـــا أو حبها لهم .. هل تعتقدون لو أن آباؤكم هنا الآن كانوا سيحتضنوننى مثلكم دون خوف ؟

- مؤكـــد كانوا ســـيرتمون فى حضنك .. كيف لمـــن يمتلك أما مثلك ألا يلقى بنفســـه بـــين ذراعيها ويحيا عمـــره كله بجوارها ؟!

(سارة) تصرخ بقلق :

- يكفى يا (آســـر) .. لا تقل أكثر من ذلك .. هى تنوى على شـــيء آخر !

لكنها تنبهت أن (آسر) لا يسمعها، رغم أن جميع من حولها يسمعونها جيدا ! حاولت أن تسرع لتنتزعهم منها إلا أن قدميها كانتا ثابتتين فى الأرض .. فزعت من شعورها بالعجز، وأيقنت أنهم فى خطر ولاتستطيع إنقاذهم ..

(هند) : هل هذه الكلمات من قلبك يا (آسر) ؟!

- طبعا يا أمى ..

نظرت لـــ(سلمى) وسألتها برقة متناهية :

- ماذا عنك يا (سلمي) ؟ هل تتفقين مع ما قاله (آسر) ؟

(سلمي) :

- لا يستطيع أحد أن يبتعد عن شخص أحبه بصدق ..

تلفتت إلى (مني) سائلة :

- و ماذا عنك يا صغيرتى ؟ هل تفضلين أن يكون لك أم تعيشين معها بقية عمرك ؟

أجابتها (مني) بتحدٍ :

- لو كان بيدى فلن أختارك أنت .. كنت ســـأختار أبى وأمى ليعودا مـــن الموت وأرتمى فى أحضانهما لأنهما هما الوحيدان القادران على

منحى ما أتمنى ..

نظرت لها (هند) وابتسمت ثم أشارت نحوها بيدها فاختفى الضوء من حولها وخرجت من الدائرة فتنفست (سارة) الصعداء وهى تحاول جاهدة تحريك جسدها الذى أبى أن يطاوعها بينما أكملت (هند) والسعادة بادية على وجهها :

- هذا ما تمنيته .. أن أفوز بكم .. بأبناء أبنائى .. رفضت (مني) أحضاني، أما أنتم فقد وافقتم ..

وهذا ما أتيت من أجله ..

حقى فى الحياة ..

حقى فى الأمومة ..

حقى فى أبنائى ..

(آسر) :

- ماذا تقصدين ؟!

- كان آخر شيء طلبته من الشر قبل أن أسلمه الجعران الأخير هو أن آخذ أبنائى معى عندما ينتهى وجودى بالحياة، ولأن أبنائى قد ماتوا فستكون أنت و(سلمي) رفقائى فى رحلتى الأخيرة ..

(سلمي) :

- تريدين قتلنا ؟! مستحيل ..

(آسر) :

- اهدئى يا (سلمي) .. مؤكد أنها لم تقصد ذلك .. لا يمكن لأم أن تقتل أبنائها لأنها تحبهم ..

(هند) :

- كيف أقتلكم وأنا قضيت عمرى كله أشتاق إليكم ؟

(سلمي) :

- كيف ستأخذينا معك وإلى أين ستذهبين بنا ؟

(هند) :

- حبيبتى .. أنا روح ولســـت جســـدا .. وكما ترين أحيا وأتحرك فى كل مكان .. كل ما ســـأفعله أنى ســـوف أحولكم إلى أرواح مثلي، وحينها ســـنحيا سويا إلى الأبد ..

فى دنياى ..

(آسر) :

- لكن هذا لا يمكن أن يحدث ..

- لماذا ؟

- كيف ستحولينا إلى أرواح وتحملينا معك وقد ضعفت قوتك ؟

- تنبهت (سارة) وأدركت أن (آســـر) قد خطط لشيء يحميه هو ومن معه، إلا أنها ظلت تســـتمع له فى صمت..

(هند) :

- هذه القلادة فى رقبتك ؟

أعـــرف أنى احتفظت بها معك .. إن بها قوة ثلاثة جعارين معا ! أنا أســـتطيع عن طريقها نقلك أنت و(سلمي) وسنحيا سويا إلى الأبد ..

تراجعت (ســـلمى) لتحتمى خلف (آسر) الذى ظل على هدوئه بينما أكملت (هند) :

- أعطنى القـــلادة .. هيا .. لقد قارب الليل علـــى الانتهاء ولابد أن نتحرك ســـريعا .. ليس لدينا وقت .

- للأسف القلادة ليست معى !

صرخة (هند) به :

- كيف لا ترتديها ؟ أين هى ؟!

- لقـــد علقتها فى رقبة (مني) كى تحميها .. شـــعرت أنها تحتاجها أكثر منى ، وبمـــا أنها رفضت أمومتك وتمنـــت أمها الحقيقية - وقد أخرجتيها من دائرتك التى لا يســـتطيع أحد اقتحامها - فقد خرجت القلادة أيضـــا من دائرتك .. إذا كنتـــى تريدين القلادة فاذهبـــى وخذيها من (مني) !

- هل كنت تخدعنى بكلماتك ؟!

أنت خائن مثلهم ؟!

هل خدعت بك لهذه الدرجة ؟!

- لم أخدعـــك .. لماذا لا تريدين الاقتنـــاع أنى ما زلت حيا .. أنا روح وجســـد، ولا أريد أن أتحول إلى روح مثلك ..

لقد وافقت علـــى كلامك لأنى لا أتمنى لك ســـوى الخير ولأنى أحببتك حقا .. شعرت بك وبالحرمان الذى عايشتيه، لكن ما تطلبينه مستحيل ..

صرخت وعيناها تدوران فى محجريهما :

- ما هو المستحيييييييييييل ؟

- المستحيل هو ما تريدينه منا ..

أنا و(ســـلمي) من حقنا أن نحيا حياة طبيعية مثل التى عشتيها أنت مـــن قبل، لكن بدون خيانة .. بدون ظلـــم أو كذب .. نحيا حياة مليئة بالحب، ومؤكد أن أرواحنا ســـتلتقى يوما ما ..

لا يمكننى أن ادمر حياتنا من أجل إسعادك !

صرخت (هند) متحســـرة على عمرها وما مرت به وكل ما فعلته من أجـــل الحصول على رفقتهم فى حياتها الأخـــرى، لتجثو على ركبتيها منهارة فى بكاء وعويل، لتنفتح دائرتها وتسرع (سارة) نحو (آسر) و(سلمي) لتحتضنهم صارخة بـــ(هند) :

- ألم يكفيك ما حدث؟!، عذبتى نفســـك وعذبتينى معك ســـنوات طوال، والآن جئتى لتعذبى أحفادك الذين لا شأن لهم بكل ما حدث ؟

رفعت (هند) وجهها الباكـــى ناظرة إليها، ثم قامت من على الأرض صارخة :

- هم أبنائى ومن حقى أن يكونوا بجوارى فى أى مكان أتواجد به وبأى شكل أريده ..ورغما عنك سيكونون معى !

اندفعـــت فجأة نحو (منى) لتنتزع القلادة من رقبتها فصرخت (منى) وتشـــبثت بها بكل قوتها، فصفعتها (هند) على وجهها صفعة قوية ألقت بها على الأرض لتسيل الدماء من فمها وهجمت عليها بشراسة فصرخت (منى) مستنجدة بأبيها وأمها !

اندفع (آسر) نحوها بقوة ليخلصها منها إلا أن المشهد قد تجمد فجأة، وأحاط الواحة كلها صمت رهيب ..

تجمـــع الضباب كثيفا عند مدخل الواحـــة وبدأ يتزايد حتى غطى الوجوه وغطى كل شىء !

ثم انقشع تاركا خلفه كل شيء فى حالة ثبات .. حتى الاشخاص أنفســـهم ثبتوا فى أماكنهم بلاحركة، إلا (الحاجى) الذى تحرك بين (سارة) والأولاد وبين (هند) و(منى) وانحنى على الأرض وفتح علبة الآذان التى تلألأ فيها الضوء لحظة وقال :

- الحمد لله، لقـــد أتممت المهمة التى جئت من أجلها وانتهى الشـــر

للأبـــد، وقد آن الأون لكفتى الميـــزان أن يعتدلا ..

خبا الضوء فى علبة الآذان لتظهر مكانه خمسة وداعات، فوضع العلبة على الأرض ووقف ناظرا للسماء، ثم تجمع الضباب حوله مرة أخرى .. وعندما اختفى كان (الحاجى) قد ذهب ..

اســـتفاق الجميع فجأة، فالتفتوا ليجدوا رجلا وامرأتين يخرجون من وسط الضباب، فأسرع الأولاد إليهم غير مصدقين صائحين فى نفس الوقت :

- أبى ؟

أمى ؟

التفتت (سارة) مع هتاف الشـــباب وهى فى حالة من عدم التصديق، احتضن القادمون الأولاد بكل الحب والحنان والشـــوق..

(آسر) مذهولا :

- كيف أتيتم إلى هنا ؟!

الأب :

- جئنا لنعيد كل شيء كما كان ..

الأم :

- جئنا حين سمعنا نداء (مني) ..

(أم سلمي) :

- قوة الجعارين هى التى أعادتنا، والحمد لله جئنا فى الوقت المناسب..

(سارة) فى ذهول :

- أنتم أبنائى .. أبنائى الحقيقيون !

لا يمكننى أن أصدق .. أنتم هنا أراكم أمامى !

(طاهر) :

- نعم يا أمى نحن أبنائك الذين حرموا منك ..

نظر الأولاد لأبيهم غير مصدقين مايسمعونه من (سارة)، فالتفتوا يبحثون عن (هند)، إلا أنهم لم يجدوها، بل وجدوا عباءتها السوداء مفرودة على الأرض وفوقها القلادة .. نظروا لـ(سارة) متعجبين، فنظرت لهم سارة بابتسامة :

- أنا و(هند) كنا شخصا واحدا .. وعندما قررت (هند) وهب روحها للشيطان قسمنا (الحاجى) إلى نصفين..

قالتها وعادت بذاكرتها للحظة أن تركها الرجل الدميم وذهب .. كانت منهارة تبكى .. هل ستموت الآن ؟

وفى غمرة تشويش عقلها تجمع الضباب من حولها وظهر (الحاجى) أمامها .. ظهر يحاول إثناءها فى يأس عن عقدها الشيطانى لكنها صرخت فى وجهه أنها تريد الانتقام .. أنها تريد الدم ولن ترضى عنه بديلا .. ولن يستطيع أحد الوقوف أمامها قط .. وفى يأس أخبرها أنها الوحيدة التى يمكن أن تقف أمام نفسها .. خيرها وحده الذى يمكن ان يتغلب على شرها .. نفسها الطيبة فقط هى التى يمكن أن تنجيها ..

مد يده بعلبة صغيرة ووضعها على الأرض فانفتحت وغمرها ضوء قوى غشى عينيها .. وشعرت كأن روحها تخرج منها بعنف فصرخت وصرخت وصرخت ثم انهارت تلهث ووعيها ينسحب منها بسرعة .. وعندما رفعت عينيها كانت ترى نفسها ملقاة أمامها .. لم تفهم ما الذى يحدث .. هل ماتت ؟

سمعت صوت (الحاجى) من بعيد :

- من قلب الشر ينبلج الخير .. ومن القلب المحطم يأتى السرور .. أنتِ (سارة) .. أنتِ (هند) .. أنت من سيقف لأختك ..

أفاقت من شرودها وهى تردف :

- نصف للخير هو أنا ونصف للشر وكان (هند) !

قاومت (هند) الشر عندما ساعدتها (سارة) من بعيد، لكنها صعب عليها مواجهة الشر وحدها، فكان لابد أن تظهر لكم وتطلب مساعدتكم.. وعند ظهوركم انتصرت بداخلها مشاعر الأمومة، وهذا ما جعلها تتغلب على الشر خصوصا بعد أن انتقمت من (إيهاب) و(جلال)، لكنها لم تستطع أن تتغلب على عاطفتها نحوكم إلا بعد ظهور أبنائها، وهنا ماتت بداخلها آخر بقايا الشر ..

الشيخ مقتربا منها :

- أولادك رجعوك يا(هند) ..هم أولى بكِ .

(هند) مبتسمة :

- وأنا أولى بهم من أى حد ياشيخ .

الشيخ:

خلاص يا أولاد، ميزان العدل اتـــزن والحق رجع لكل صاحب حق .. والدم نادى الدم !

احتضن الأولاد أمهاتهم وأبيهم وودعوهم ثم التفت (طاهر) لـــ(هند) مبتسما وقال لها :

- هيا بنا يا أمى .. انتهى الوقت ويجب أن نعود ..

الشيخ :

- انتظر يا (طاهر) لك عندى أمانة !

ثم ناوله علبة الآذان وقال :

- هـــذه ملك لك أنت وأخوتك، وهنـــا قد عاد كل حق إلى صاحبه، وكل مظلوم لابـــد أن ينصفه الله ولو بعد حين .

المقدرة

أشـــار الأهل لأولادهم وودعوهم واحتضنوا أمهم (هند) وســـاروا فى طريقهم خارجين من الواحة، حيث غلفهم الضباب مرة أخيرة ليختفوا.. ونظر الشيخ للأولاد وأحاطهم بذراعيه :

- خلاص يا أولاد .. كل شىء عاد لأصله وأنا دورى انتهى !

(آسر):

- شكرا لك على كل ما فعلته ياشيخ .

احتضن (آســـر) (منـــى) و(ســـلمى) واتجهـــوا إلى أصدقائهم الذين احتضنوهم وساروا جميعا يتهامسون فى سعادة عندما قال (عبدالرحمن) :

- بعـــد أن نجحت خطتى واقتراحى أن ترتدى (مني) القلادة، وتخمينى أنها كانت تريدكم فى عالمها .. لم أسمع حتى كلمة شـــكر ..

تعالت ضحكات (آسر) :

- ماذا تريد ؟!

ابتسم (عبدالرحمن) له ثم أشار على عنزة تتبختر فى ساحة الواحة وقال بهدوء :

- تكفينى هذه العنزة ..

انطلـــق الجميع خلفه يريدون أن يضربوه وتعالت الضحكات فى كل مكان عندما لاح من بعيد ضوء الفجر معلنا النهاية وبداية حياة جديدة يملؤها العدل والحب والإخلاص .

تمت

أشرف فتحي